53 عاماً على ثورة 14 تموز

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2187) السنة الثامنة
الإثنين (11) تموز 2011

10
بريطانيا والموقف من ثورة 14 تموز

الملازم عبد الكريم قاسم يفتش احسن جماعة حرس في الكلية

عبد الكريم قاسم

د. فائق بطي

ضابط شجاع، ثائر وطني، زعيم امة بلا منازع، عاش وطنيا، واستشهد بطلا.. وبات خالدا في قلوب عشاق الحرية، في وطن أسمه العراق.

والده "نجار" في محلة شعبية فقيرة، اسمها (المهدية)، رزق بثلاثة بنين: هو، وحامد وعبد اللطيف. تنقلت العائلة الفقيرة في بيوت طين الفقراء في الصويرية ومن ثم في بغداد مرة ثانية في محلة "قنبر علي" التي تقع بين أحياء شعبية معروفة لأهل بغداد: المهدية وإبراهيم عرب والفضل.

ولد هذا الرجل البسيط عام ١٩١٤ وأكمل دراسته في الثانوية المركزية، حيث كان متفوقا على أقرانه، ومن ثم عين مدرسا في أرياف "الشامية" في الديوانية لأقل من سنة، وكانت مدن العراق تغلي ضد الانكليز، ومعاهدة ١٩٣٠، وإضرابات الطلبة تعم بغداد والجنوب، فقرر ترك مهنة التدريس والالتحاق بالكلية العسكرية في منتصف أيلول عام ١٩٣٢، ووضع النجمة الأولى على كتفه في منتصف نيسان ١٩٣٤، ليخدم كضابط في المعسكرات خارج العاصمة، حيث اتسمت حياته بالصرامة والجرأة منذ أن خدم في صفوف الجيش، ويتدرج في الخدمة العسكرية بعد أن منح رتبة "أركان" عام ١٩٤١، حتى إذا ما وقعت الحرب العربية – الصهيونية بعد إعلان دولة إسرائيل في ١٥ أيار ١٩٤٦، شارك فيها كآمر الفوج الثاني في جحفل اللواء الأول وهو يحمل رتبة "مقدم ركن"، لتبدأ لاحقا مسيرة عبد الكريم قاسم الوطنية من مدينة "كفر قاسم" في غرب نهر الأردن، إلى وزارة الدفاع ببغداد صبيحة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨.

كان ضابط شجاعا لا يهاب الموت. عرفه الضباط جريئا مقداما في معارك فلسطين، وقبلها في حركات الشمال ١٩٤٥ – ١٩٤٦، في جبال كردستان.

حدثني يوما عمي، العقيد فخري صفو النعيمي، وكان ضابطا مشاركا ابان ثورة ملا مصطفى البرزاني الثالثة، مع فوج عبد الكريم قاسم في القاطع الاوسط، قائلا:

كنا نعد الخطة للهجوم على جبل يتحصن فيه عدد كبير من قوات الملا مصطفى، على أمل ان نبدأ الهجوم في الفجر، وكان ضباط ومراتب الفوج يغطون في سبات عميق ويتعمدون بالراحة، استعدادا لتنفيذ الاوامر في الساعات الاولى من الصباح. كنا في الوادي اسفل الجبل المعني، ومع تباشير الفجر، شاهدنا العلم العراقي يرفرف على قمة الجبل، وتبين لنا ان العلم اخذ معه ثلة من ضباط الصف والجنود في الليل، وكنا نتعم بالنوم، وصعد الى القمة ورفع العلم العراقي فوق الجبل، ومن حسن حظنا، ان قيادة المقاتلين الكرد، قررت الانسحاب قبل بدء هجوم الجيش العراقي، ولو لم ينسحب المقاتلون، وشعروا بنا ونحن في الوادي، لكانت الابادة للقوة الموجودة حتمية دون ان يكون لنا الوقت حتى للقتال. ومنذ تلك الحادثة، بدأنا نطلق على امر الفوج "كرومي المجنون".

هذا هو عبد الكريم قاسم.. الضابط المقدام. كما وسبق أن حدثني والدي، وكان عضوا في وفد مجلس النواب العراقي، الذي أرسل لتفقد قطعات الجيش العراقي في فلسطين بعد معارك المثلث العربي "جنين – كفر قاسم – قلقيلية" عام ١٩٤٨، ان عددا من الضباط العراقيين، كانوا يعصون ويتمردون على أوامر قيادة الجيش، ويقومون بحركات سريعة، استطاعت خلالها، قوة من هؤلاء الضباط من التوغل في عمق فلسطين، واحتلال مدينة "ناتانيا" على البحر الأبيض المتوسط ويريدون عزلها عن تل ابيب وعن حيفا، إلا أن قيادة الجيش رفضت ذلك وأصدرت أوامرها بانسحاب القوات العراقية، رغم احتجاجات أولئك الضباط. وقال لنا البعض من العساكر، إن الجيش كان يقوم باحتلال الكثير من المواقع، إلا أن الرد كان يأتي قاطعا: "ماكو أوامر"!

وفي الكتاب الأبيض الذي أصدرته اللجنة بعد عودتها من فلسطين، تردد اسم الضابط المقدم الركن، عبد الكريم قاسم، على رأس أولئك الضباط الشجعان.

هذه هي وطنية الضابط الجريء قاسم..

ومن المثلث العربي، ولدت فكرة الثورة على النظم العربية الفاسدة.

بدأت بثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ١٩٥٢، وتشكلت داخل وحدات الجيش العراقي، حلقات وخلايا الضباط الاحرار.. لتتفجر ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ويعلن في اليوم الاول للثورة، ميلاد الجمهورية العراقية.

في الساعة الرابعة عصرا، اذيع بيان حظر التجوال في كل أرجاء بغداد، رغم احتلال الشوارع من قبل الجموع الهادرة وهي تهتف للثورة ولقائدها الزعيم عبد الكريم قاسم، وكان عليّ واخوتي ان نقرر ان كنا سنواصل العمل، والساعة قد قاربت السادسة، والشوارع بدت خالية الا من العساكر والشرطة، فطلبت من بديع وكمال وسامي العودة الى دورهم، وان اتولى القضية شخصيا.

ذهبت الى دار الاذاعة في منطقة الصالحية، وكان الضباط الأحرار يحتلونها، ودخلت على احد الضباط برتبة رائد، وعرّفته بشخصيتي، مستفسرا منه عن امكانية الحصول على وثيقة "عدم تعرّض"، فنهض وعانقني وطبع قبلة على كتفي، وقال: اذهب واصدر جريدتنا (البلاد)، فهي جريدة الزعيم وحركة الضباط الأحرار، وهي المدرسة التي انتقلنا منها الوطنية العراقية الصادقة.

تجمع "الفرسان الأربعة" كما يحلو للفنانة المعروفة عفيفة اسكندر، صديقة الوالد والسياسيين والأدباء، أن تصفنا نحن الإخوة، تجمعوا في الساعة السادسة صبيحة ذلك اليوم في دار الوالدة في عرصات الهندية، لينطلقوا من هناك إلى مقر جريدتهم (البلاد) في ساحة السراي – محلة جديد حسن باشا – خلف جامع الملك، وكان العمال يتوافدون توا إلى المطبعة، والفرحة بادية على وجوههم، وما ان ولج الفرسان الى داخل الدار واحدا بعد الآخر، حتى انهالت عليهم القبلات، والكل يهنئ بالثورة، ثم التقت العامل علي عزاوي إلى الأخ الأكبر بديع، وسأله إن كانت الجريدة سوف تصدر في الغد، فبادرت إلى الجواب مؤكدا ضرورة صدورها لتدوّن تاريخ هذا اليوم العظيم الذي كنا ننتظره، ولنضور فرحة الشعب بتأسيس الجمهورية العراقية.

في الساعة الرابعة عصرا، اذيع بيان حظر

×××

عدت الى الدار بعد ان انتهيت من العمل في الجريدة في ساعة متأخرة من الليل، وكانت المعارك في بيروت على اشدها، والمانشيت الذي كان سيتصدر عدد (البلاد) في ١٤ تموز هو "الرصاص يلعلع في شوارع بيروت"، واذا به يلعلع في سماء بغداد في فجر ذلك اليوم التاريخي، ليذاع في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة بيان الثورة الاول، بتوقيع الزعيم الركن عبد الكريم قاسم القائد العام للقوات الوطنية المسلحة.

أمسكت بالوثيقة فرحا، واتجهت إلى دار صالح سلمان، ثم إلى منزل صادق الصائغ، وأخيرا إلى سكن العامل اللبناني جوزيف ابو جان، ومنضد الحروف اللبناني حسن، واتجهنا في الساعة الثامنة الى الجريدة، حيث تولى صالح سلمان تحرير البيانات التي أذيعت من إذاعة بغداد، إلى جانب كتابة تحقيق عن الساعات الأولى للثورة، وكتبت أنا الافتتاحية ومقالا آخر عمّا نريده من هذه الثورة، وأنامل العامل حسن تنضد ما نكتب، ثم امسك صادق الصائغ بمشرطه ليخط المانشيت الرئيسي (الثورة) الذي احتل نصف الصفحة الأولى بخط جميل وهو يحفره على قطعة البلاستيك المستعملة آنذاك في المطابع، ثم يخط العنوان الثاني (عبد الناصر يهنئ شعب العراق)، وأخيرا أدار أبو جان عجلة ماكنة الطباعة لتخرج (البلاد) بأربع صفحات، ولتكون الجريدة الوحيدة التي صدرت في اليوم الثاني للثورة.

لم اترك الجريدة منذ ان دخلتها مساء، حتى انبلاج الفجر، حين بدأت الجماهير تملأ الشوارع وهي ترفع اللافتات والشعارات التي تهنئ بالثورة وتطالب بالديمقراطية، وتهتف بحياة القائد عبد الكريم قاسم.

كنت أفكر بالمقال الثاني من سلسلة "هذه ثورتنا".. حصيلة كفاح طويل مرير"، حين دخل عليّ عبد اللطيف حبيب، سكرتير التحرير، ليبشرني بمقتل نوري السعيد في منطقة البتاويين وهو متنكر بالعباءة النسائية، على يد عريف في القوة الجوية. طلبت منه أن يرافقني إلى وزارة الدفاع التي لا تبعد عن الجريدة سوى امتار، لنرصد الخبر وماذا يجري هناك. عبد الكريم قاسم يهبط السلالم وهي يده غدارة بور سعيد، ليرى بأم عينيه جثة نوري ملقاة على سقيفة مرافقه الامين وصفي طاهر، وقال له: الان نجحت الثورة.

عدت الى إدارة الجريدة وكان الأخوة قد وصلوا توا اليها، ليخبروني بان جثة السعيد تسحل في شارع الرشيد. لم استسغ هذا العمل وقد شاهدت في اليوم الاول للثورة جثثا اخرى تسحل وتعلق في شرفة احد الفنادق في صوب الكرخ، وهي جثة الوصي على عرش العراق السابق، عبد الاله، وغيره من ساسة البلاد من حكام العهد الملكي. وما هي الا دقائق، حتى ولج الى غرفتي ضابط برتبة نقيب وهو يسلمني رزمة من صور العائلة الملكية وبعض شخصيات الحكم، وباوضاع غير محافظة، وطلب مني نشرها في العدد الذي سوف يصدر بالغد. شكرت الضابط الثائر، واعتذرت منه عن نشر تلك الصور، وقلت له بأن الثورة جاءت لتفتح عهدا جديدا في تاريخ الجمهورية الوليدة، لا أن تنتقم بالصور والفضائح من أقطاب العهد المباد، وقد قضى بعضهم، والبقية تقبع في سجون الثورة. كبّر في الضابط هذه الروحية، وانسحب من الإدارة، عائدا إلى مقر إذاعة بغداد.

صدرت الجريدة في اليوم الثالث للثورة وقد احتل المانشيت الرئيسي مساحة نصف الصفحة الأولى: "مصرع الخائن"، وليكون العدد الرابع (١٧ تموز) مزينا بصورة الزعيم عبد الكريم قاسم في وسط اول حديث يدلي به الى (البلاد)، بينما نائبه ووزير الداخلية العقيد الركن عبد السلام عارف يجوب مدن الناصرية والعمارة والكوت مع عدد من أقطاب وصحفي حزب البعث العربي الاشتراكي، (الوزير فؤاد الركابي والصحفي معاذ عبد الرحيم) وهو يدعو إلى الوحدة العربية الفورية مع مصر وسوريا (الجمهورية العربية المتحدة).

قائد الثورة يحيي الجماهير من سطح وزارة الدفاع المطل على شارع الرشيد.

مواكب ومواكب وجموع هادرة من الناس تهتف بحياة قاسم.

راديو بغداد يواصل بث الأناشيد الوطنية التي أهداها له عبد الرزاق المسعودي.

برقيات التأييد ونصرة الثورة تترى على الصحف وراديو وتلفزيون بغداد.

أفراد الجيش الوطني يعودون الى ثُكناتهم في معسكري الرشيد والوشاش.

كل الناس يستبشرون خيرا من العهد الجديد.

رن الهاتف في غرفتي مبكرا، ليطلب مني وصفي طاهر التواجد في وزارة الدفاع في العاشرة لحضور المؤتمر الصحفي الذي سيعقده الزعيم، وهو أول مؤتمر يدعو إليه بعد نجاح الثورة المباركة. فرحت جدا لسببين. الأول، مقابلة قائد الثورة وجها لوجه. والثاني، الفرصة للتعرف عليه وكان قد خصّ (البلاد) باول حديث قبل يومين، ويؤكد لمرافقه الأمين وصفي طاهر، انه يعتبر (البلاد) جريدته ولسان ثورة ١٤ تموز، وكذلك للاطلاع على رأيه بالجريدة، وتعميق اللحمة بين قيادة الثورة وبين الصحفيين.

دخلت إلى غرفة الاجتماع، وكنت أول من يحضر المؤتمر، فوجدت الزعيم جالسا في صدر الغرفة وأمامه منضدة مستطيلة كبيرة، وضعت عليها ثلاث سماعات صوتية، فاتجهت إليه لمصافحته، وأنا اعرّفه بنفسي، فابتسم ابتسامة جميلة، وقال: أهلا بابن البلاد، وأجلسني إلى جانب وزير الإرشاد محمد صديق شنشل.

أطال النظر إليّ وكأنه يريد أن يقول لي شيئا، إلا انه التفت إلى الوزير مستفسرا منه عن موعد المؤتمر ومتى يحضر الصحفيون العراقيون والأجانب؟

ضابط بزي عسكري وأنيق.

وجه بشوش تختفي وراءه صرامة مستترة.

عينان حادتان تلتمعان، لكنهما تنم عن الحب والحنان.

شعر اسود تتوغل فيه خصلات بيضاء تضيف إلى صاحبها وقارا.

عسكري خاض المعارك داخل العراق وفي فلسطين، لكنه مدني خجول.

بسيط جدا، وغني في سمو الأخلاق عندما يتحدث.

تشعر وأنت تستمع إليه أو تنظر إلى قسمات وجهه، بقوة شخصيته الواضحة.

كريم في العطاء وهو يتحدث إلى الناس والفقراء.

قائد ثورة ولكنك عندما تجلس معه تشعر بأنه صديق قديم.

هذا هو عبد الكريم قاسم في أول لقاء في مقره الجديد.

أعلن في مؤتمره "المبسط" خطة حكومة الثورة وأهدافها، وأجاب على أسئلة الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء، وطلب من الحاضرين الابتعاد عن كل ما من شأنه ان يثير الحزازات والانتقام وزرع الفرقة بين ابناء الشعب، "فالثورة ما قامت الا لنصرة كل طبقات الشعب وخصوصا الفقراء والمعوزين والمتضررين من العهد المباد".

وسار بالثورة الى امام، وبرّ بوعوده للشعب..

×××

بشّر الشعب بانسحاب العراق من حلف بغداد العسكري.

حرّر الاقتصاد من تبعية منطقة الاسترليني وحرر العملة العراقية.

ألغى قاعدتي الشعبية والحبانية وطالب بجلاء القوات البريطانية.

أطلق الحريات الديمقراطية.

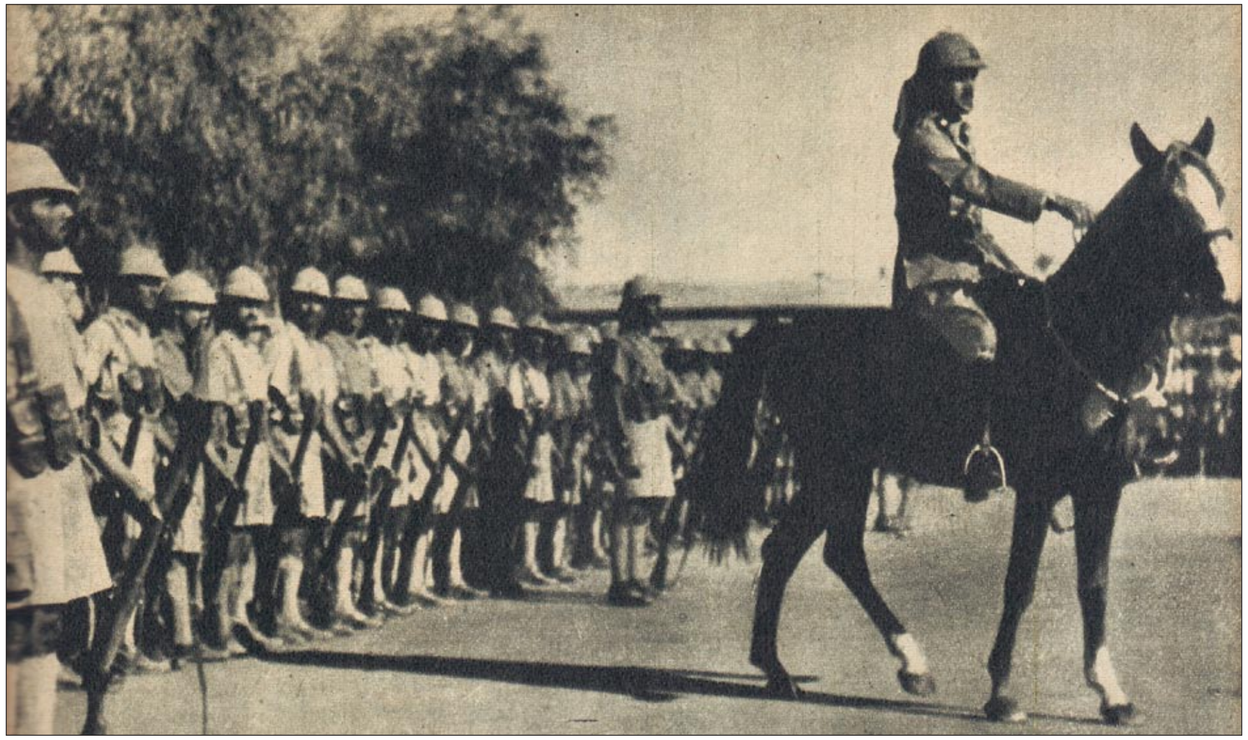

الملازم عبد الكريم قاسم يأخذ طابورا من طلبة الكلية الحربية الى التدريب

أجاز التنظيم النقابي والمهني لكل شرائح المجتمع العراقي.
فتح أبواب وزارة الدفاع لكل الناس للاستماع إلى شكاواهم.
اصدر قانون الإصلاح الزراعي وحرر الفلاحين من جور الإقطاع.
أطلق حرية تشكيل الأحزاب السياسية.
كسر احتكار السلاح من الغرب وعقد اتفاقيات التسليح مع المعسكر الاشتراكي.
اعترف بجمهورية المانيا الديمقراطية.
خصص المساعدة المالية للثورة الجزائرية، وانشأ جيش التحرير الفلسطيني.
ورغم هذه الانجازات والمكاسب، يدخل الشخص الثاني في الثورة ونائبه، عبد السلام محمد عارف، الى غرفة الزعيم، ويحاول ان يشهر مسدسه بوجه القائد، فيتدخل وصفي طاهر وينتزع السلاح من يده.
ثم توالت المحاولات والمؤامرات منذ الشهر السادس من عمر الثورة الوطنية الرائدة.. فمن هم، ولماذا يشهرون السلاح لقتل هذا الزعيم الوطني؟
في الموصل، اراد العقيد عبد الوهاب الشواف اغتيال الثورة وقائدها في اذار ١٩٥٩ وهو من الضباط الاحرار. وفي كركوك، ارادت شركات النفط وقوى الارتجاع اغتيال الثورة وزعيمها في تموز ١٩٥٩. وفي منطقة رأس القرية في شارع الرشيد، في تشرين ١٩٥٩، اطلقوا عليه وابلا من الرصاص من قبل عناصر حزب البعث العربي الاشتراكي ومنهم، صدام حسين وعبد الوهاب الغريري، إلا ان الزعيم خرج سالما وبجرح وحيد وبسيط في كتفه.
تكالبت على الزعيم والثورة قوى محلية واقليمية ودولية، للقضاء على مكاسب الشعب: حزب البعث العربي الاشتراكي، القوميون العرب، الرجعيون في الموصل، الاقطاعيون في الوسط والجنوب، ايتام العهد المباد، القوى الرجعية من الكرد والتركمان – شاه ايران، تركيا، الاردن، دول الخليج العربي، مصر عبد الناصر – بريطانيا والولايات الاميركية المتحدة .. الخ. الا ان كل تلك المؤامرات والمحاولات باءت بالفشل بسبب التفاف الشعب وقواه الوطنية من الشيوعيين والديمقراطيين وضباط الجيش اليساريين والوطنيين خصوصا الضباط الاحرار وهم الاكثرية، حول الثورة وقائدها الأمين.

×××

بعد أحداث كركوك بيوم واحد، في ١٦ تموز، ارسل بطلبي عبد الكريم قاسم، وكنت رئيسا لتحرير (البلاد)، وقبل ان اقابله، ادخلوني على الحاكم العسكري العام، احمد صالح العبدي، وكان في غرفته العقيد خليل ابراهيم (خليل رويتر)، نائب مدير الاستخبارات العسكرية، فقام العبدي وهددني بالسجن بسبب نشر (البلاد) بيان المنظمات الديمقراطية في كركوك ضد مؤامرة شركات النفط، وعندما واجهت عبد الكريم قاسم، وكان غاضبا عصبيا يتفوه بكلمات تكاد ان تسمعها، بسبب الحوادث الاليمة وعمليات القتل التي ارتكبتها عناصر مدسوسة واخرى بدافع الحرص على الثورة، الا انه توقف عندما توجهت اليه، ونهض من وراء مكتبه البسيط جدا، وصافحني، ملقيا اللوم عليّ بسبب ذلك البيان، وعندما حاولت ان افهمه بأن الصحف الاخرى وخاصة اليسارية، نشرت البيان نفسه، أجابني بأنه لا يهمه ذلك، لأن (البلاد) يعتبرها جريدة ثورة ١٤ تموز، وقال: أنا اقرأها كلها، وأشكر على اختيار بعض الأسطر في باب "من اقوال الزعيم" الذي يحتل الركن الأعلى في يسار الصفحة الرابعة (المحليات) كل يوم.
في تلك اللحظة، دخل احد المراتب وهو يحمل (السفرطاس) ووضعه على الطاولة في منتصف الغرفة، فامسك الزعيم بيدي وراح يفرغ الطبقات الثلاث من الماسك، وطلب مني ان أشاركه الغذاء. كانت الاولى تحتوي على الرز والثانية على الفاصوليا اليابسة، اما الثالثة، فكانت مخصصة لرغيفين من الخبز والسلاطة الخفيفة. وعندما حاولت الاعتذار بحجة انها وجبة له فقط وتكاد ان تكفي، ابتسم واجابني: ما بالك قبل ايام تلك الوجبة التي شاركتني فيها انت وابو فرات (الجواهري الكبير)؟
كانت غرفة الزعيم هي مكتبه وغرفة الاستقبال والطعام والنوم التي كانت مرتبة المنام تفترش الارض ليستلقي عليها ما معدله ثلاث ساعات بعد منتصف ليل كل يوم..

وتتكرر اللقاءات

في إحدى هذه الزيارات، كنت بصحبة لطفي بكر صدقي، صاحب جريدة (صوت الأحرار) اليسارية، وهو صديق قديم للزعيم، لنتقل له احتجاجات الصحفيين والكتاب على ما تنشره الصحف (الصفراء)، العهد الجديد لأحمد زكي، والشرق لمحمد العاني، وبغداد لخضر العباسي، من مقالات تحريضية وشتائم رخيصة ضد أصحاب الصحف الوطنية واليسارية المدافعة الأمينة عن الثورة ومكاسبها، وكنت مبادرا إلى طرح الشكاوى بصفتي من مؤسسي نقابة الصحفيين ومسؤول لجنة الرقابة فيها، فالتفت الزعيم إلى لطفي ودار بينهما الحديث التالي:
قال عبد الكريم: وأنت ما هو رأيك؟
لطفي: مع ما قاله زميلي.
كريم: وماذا تريدون مني؟
لطفي: كروهي.. هل تقرأ هذه الصحف؟
كريم: عن طريق التقارير التي يعدها لي الرئيس سعيد الدوري، المرافق الصحفي.
لطفي: ولماذا تسكت على هذه الأكاذيب والأساليب الرخيصة.
كريم: هذه سياسة!
لطفي: أية سياسة يا كرومي ونحن أصدقاء منذ سنوات طويلة.
كريم: الموازنة بين اليسار واليمين.
لطفي: هذه سياسة خطيرة، وأنت زعيم يحبك الشعب لوطنيتك وشجاعتك.
كريم: دعني أطمئنك بأن الثورة سوف تحقق المزيد من المكاسب.
لطفي: لهذا السبب أنت في خطر.
ابتسم الزعيم وقال: انا مع الشعب .. والثورة جاءت من اجل هذا الشعب ومن اجل الفقراء، وانا لا أهاب أي شيء، فحياتي ملك الفقراء.
وتتوالى المكاسب.. وتكثر الدسائس والمؤامرات في السر والعلن. ويصدر عبد الكريم قاسم قانون النفط رقم ٨٠ لعام ١٩٦١ الذي انتزع بتطبيقه ٩٩٪ من مناطق امتياز شركات النفط الاحتكارية، وأسس شركة النفط الوطنية لاستثمارها.

×××

كانت جريدة (البلاد) قد انتقلت من محلة جديد حسن باشا في القشلة، إلى شارع السعدون – كرادة خارج – مقابل السفارة الأمريكية من الجهة الثانية المطلة على شارع النضال. وكنت قد أنهيت خدمتي في الاحتياط وعدت من معسكر الشعبية لأتولى رئاسة تحرير الجريدة، إلا أن مديرية الاستخبارات والأمن العامة رفضتا الموافقة على الطلب لاسباب غامضة. فبادرت الى وضع أسمي على "ترويسة" التعريف كمدير للتحرير، وهو اول استحداث اوجدته في الصحافة العراقية.
انكببت على العمل لتجديد صفحات وابواب الجريدة، ومن ضمن ذلك التجديد، وكنت في حينها غاضبا على سياسة الزعيم فيما يتعلق بشن الحرب على الحركة الكردية في ايلول ١٩٦١ وفيما يتعلق بالعفو عن الذين حاولوا اغتياله، في حين، بدأت سلطاته باعتقال العناصر الشيوعية واليسارية وفق سياسة "عفا الله عما سلف"، فقمت بحذف ركن "من اقوال الزعيم" واستبدلت تصميم صفحة المحليات بتصميم جديد.
في صبيحة اليوم التالي، اتصل بيّ المرافق الصحفي سعيد الدوري، وابلغني استغراب الزعيم من حذف الركن الخاص باقواله. لم اعرف كيف ابرر ذلك، وكانت مفاجأة لي، فحاولت ايجاد حجة سريعة، فلم أجد سوى أن اكذب كذبة بيضاء حبا بالزعيم، بأن ما حدث هو من باب "سقط سهوا"، فضحك الدوري وقال: أنت تعرف أن الزعيم أول ما يقرأه في البلاد هو ما تختاره من أقواله في هذا المربع العزيز عليه وعلينا جميعا. فعاد الركن إلى مكانه حتى اخر ايام عبد الكريم قاسم.
كنت في الكثير من الأيام امكث في الجريدة حتى ساعة متأخرة من الليل، أقف في شرفة كبيرة تطل على الشارع العام، أدخّن ما طاب لي من السجائر، لأني مدمن عليها بشكل جنوني، كما كنت أتداول شؤون الصحفة الاولى مع مسؤولها منير رزوق، حين مرّ الزعيم بسيارته وحيدا مع سائقه، وتوقف امام المبنى، وهو يشير عليّ بالنزول. هممت بالقفز على سالم المبنى وأنا بين الاستغراب والمفاجأة، لاجده يخرج رأسه من النافذة، ويسألني: ماذا أعددت لنا من أقوال في عدد الغد؟ وبكل بساطة وهدوء اجبته: ما يريده الناس منك يا زعيمنا. لم اصدّق انه يطلب بنفسه قولا بل شعارا كان يكرره في كل خطبه وفي كل المناسبات. قال اريد ان اكون دوما نصيرا للفقراء، فانا عشت طيلة حياتي فقيرا يقدم للمعوزين الذين اصادفهم ما يتبقى من راتبي كضابط.. قاطعته: لهذا يحبك الفقراء. ابتسم وشد على يدي قائلا: ما تطلب شي يا ابو البلاد.
استغليت هذه الفرصة وقلت له:
– ارجوك يا قائد البلاد ان تعيد للصحافة كرامتها التي بدأت تفقدها على يد الجهلة وأعداء الثورة من المتسترين وراء مظاهر تأييدك.
قاطعني وهو يهز يده السليمة بصيغة الاستفسار:
– ماذا تعني؟
– صحف الرجعية تشتمنا بعبارات قبيحة دون رادع أخلاقي.
– مثلا؟
– جريدة الشرق كتبت تحت باب "الف ذي عاهة وعاهة" وفي معرض هجومها على محررة عندنا هي سلوى زكو بقولها البذيء .. كل دنك شارع الرشيد بـ....

احتد وطلب مني مقابلته صباح الغد.

كان اللقاء حميميا وصريحا وللمرة الأولى يطلب مني ما لم أكن اتوقعه من زعيم ثورة مجبول بالطيبة والنزاهة، عندما تحاشى ان يتطرق الى شكوى الامس، حين راح يعرج على اوضاع كردستان ومخاطرها على الثورة، وانه يؤمن بحقوق الشعب الكردي ولكنه لا يغفر لهم ما يقومون به عن طريق استخدام السلاح، وهو يريد السلام، وفجأة سألني عن رأيي بما يجري.
سكتت، ولم أجب او اعلق على طروحاته، فبادر الى الطلب مني استنكار تلك الاعمال، وقد اعتبرها خروجا على مبادئ وأهداف الثورة، وبعصبية يواصل شد وإرخاء يده المصابة باطلاقات رأس القرية في شارع الرشيد عن طريق الضغط على الكف بما تحويه من اسفنجة صلبة تساعده على تلك الحركة، ونظراته الحادة تحاصرني متوقعا مني الرضوخ للطلب، فاعتذرت بأدب مؤكدا له باني من المؤمنين بالقضية العادلة للشعب الكردي وانني من مؤيدي شعار "السلم في كردستان" الذي رفعته القوى الديمقراطية والحزب الشيوعي العراقي، ومتوسلا إليه أن يوقف قصفه لمناطق كردستان حرصا على الثورة ووحدة مصير الشعبين العربي والكردي، وحين همّ بالوقوف مودعا قلت للزعيم الذي أحبه صادقا:
– الم نرفع شعار "على صخرة الإتحاد الكردي العربي تتحطم مؤامرات الاستعمار"؟
– أليست تلك الحركة مؤامرة؟
– لا يا سيادة الزعيم..
تركني واتجه الى الكرسي الذي يتصدر الصالة، واتجهت انا إلى باب الغرفة مؤديا له تحية عسكرية طالما كنت احيي بها اولئك الرجال الذين اقدرهم واحبهم من كل قلبي، والألم ما يزال يعصر قلبي.
وازداد هذا الألم وجعا..
اذ لم تمض ايام معدودة، حتى حدث ما لم اكن اتوقعه من هذا الزعيم الوطني الغيور والنزيه ، ولم احسب حساب ما سأواجهه من عواقب نتيجة ما حصل "للبلاد" بهذه الطريقة "التأديبية" ونحن نخوض اول تجربة "ديمقراطية" جاءت بها ثورة ١٤ تموز الرائدة.
فماذا حدث؟
ومتى؟
وأين؟
ومن شارك فيه؟
ولماذا؟
وكيف حدث؟
وما عليّ إلا أن أصيغ هذا الخبر وفق قاعدته التقليدية لأجيب على أسئلته لتبيان ما حدث:

×××

شلة من الطارئين والأميين في ساحة إعلام ثورة وطنية ديمقراطية قامت لتقود شعبا مظلوما بكل طبقاته الاجتماعية المسحوقة نحو غد أفضل وسعيد، ووجوه من أشباه الرجال، أجساد أصحابها منخورة بالدناءة حتى العظم، احاطت برجل الثورة الطيب، وراحت تكيل التهم جزافا وخسة، وتتهجم بغسيلها الوطني من اقبح الكلمات، على خيرة العناصر والشخصيات الوطنية المعروفة بمواقفها وتضحياتها واخلاقيتها المشهود لها في المحاكم والسجون الظلامية طيلة اعوام النضال الوطني التي كانت في ١٤ تموز الاغر، هي الحصيلة التاريخية لهذا الزمن الآتي بخيراته وعطاءاته، وكان يتقدم صفوف تلك الشلة المنبوذة، ثلاثي يعرف بأولاد الشوارع، في ثلاث صحف

الزعيم عبد الكريم قاسم خلال حرب فلسطين مع بعض الضباط

جماهير الشعب تتجه الى وزارة الدفاع لتحية عبد الكريم قاسم ورجال الثورة

فارغة المعنى وغائبة الهدف الا من سطور غسيلها المتسخ، وفي مقالات لا تنطبق الا على اصحابها، حين بدأوا ينشر ذلك الغسيل اللااخلاقي تحت عنوان "الف ذي عاهة وعاهة..."، وكنت أنا من اوائل الذين تطاول عليها اولئك الاقزام، وبحروحا عن طريق عناوين صفحاتهم السود يحرضون الزعيم عبد الكريم على جريدة "البلاد" ويتحدون من اصحابها ان هم نشروا حرفا واحدا ضد ثورة أيلول الكردية وزعيمها الملا مصطفى البرزاني.
الا ان نجاحهم زادنا قوة وإصرارا على تحدي كل من أراد ان يشوه تاريخ امة بدأت للتو تنفض عن ربوعها غبار التخلف والاضطهاد.
كنت في الدقائق الأولى قبيل انبلاج فجر ذلك اليوم الجديد، في فراشي على سطح الدار، أحاول أن استعيد في ذاكرتي احداث الأمس، حين مسني فجأة رنين جرس الدار ، فانتفضت مذعورا في تلك الساعة الغافضة من وقت الظلام الرمادي، وانا اتلمس بصعوبة خطوات الوصول الى تكية السطح متعثرا من شدة الخوف، قبل ان يفاجئني علي عزاوي، عامل التنضيد النجيب، بأن الجريدة يحيط بها رجال الأمن، مستصحبين معهم أخي سامي، رئيس التحرير، ولم ينس ان يدحرج في كلامه عبارة "مهزلة" التي لم اتبين مغزاها الا بعد ان وصلت مقر الجريدة في ساحة عقبة بن نافع، لاكون شاهدا على تلك الواقعة المضحكة ونحن نعيش في منتصف عام الثورة الثالث، فكانت بالحق مهزلة المهازل، عندما نشرت احدى تلك الصحف الصفراء "الشرق" المبتلي بالمهازل، مانشيت الصفحة الاولى وبخط كبير نص على: "كبس جريدة البلاد والعثور على اسلحة ومتفجرات"..
كانت الأسلحة "حمام السلام" محفورة على البلطات والخناجر، والمتفجرات هي "زرنيخ" نشارة الطابوق الأصفر، وكان دليل الجريمة حبات تكوّرت بعد لهيب عود كبريت واحد، وحيثيات الجريمة، "مؤامرة" على ثورة تموز!
كان "الانقلاب" اثنان فقط من ورثة مؤسس (البلاد).
و"بيان" الثورة الجديدة مقال افتتاحية عدد الجريدة الذي لم تظهر في الصباح.
وهكذا، بدأ العد التصاعدي لأيام الردة السوداء يطفو على السطح.
اعتقلوا اخي سامي في مديرية الأمن العامة، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن تأكدوا بأن الجريدة خلت من بيان يشرح فيه مدير التحرير ما جرى للجريدة ولرئيس تحريرها، فعيون رجال "المباحث" لا تخطئ، وعربات "الفولكس واكن" مرابطة أمام بناية الجريدة، وليديأ سكرتير الزعيم، الضابط الرئيس سعيد الدوري، مساوماته معي:
لماذا لم تصدر (البلاد)؟–
– الساعة تشير إلى الخامسة يا أخي سعيد.
الزعيم يسأل عنها..
– ومتى سألتم في مثل هذه الساعة؟
خَيّم سكوت حذر بيننا للحظات قبل ان اسأله:
– هل عرفت ما جرى للجريدة؟
– ماذا جرى؟
– اعتقلوا اخي سامي بحجة وجود "مؤامرة"!
– ما هذا الكلام يا ابا البلاد؟
– الجواب عند عبد المجيد جليل مدير أمنكم يا أخ سعيد.
– هذا كلام خطير.
– الا يعرف الزعيم بهذا "اللعب" الخطير مع ابناء الثورة؟
– امهلني بعض الوقت..
وطال هذا الوقت اسبوعا ليحال سامي الى المجلس العرفي الاول ويحكم عليه بالسجن سنة ونصف عن جريمة "ايواء مجرم" والمجرم هو نصير النهر، اما محرري البلاد الذي ينشر مقالاته في الجريدة كل يوم، فكانت بحق، مهزلة اخرى امتد اوارها الى اشهر لتؤدي الى الجريمة الكبرى باغتيال الثورة ورجالاتها في انقلاب ٨ شباط الأسود.
لم احقد على الزعيم، بل ازداد حقدي على اولئك الذين يحيطون به ويتآمرون على الثورة في غرف وزارة الدفاع بباب المعظم وفي اوكار الذين "عفا الله عما سلف"، بينما تقارير "أمن" الثورة وهو بيد عبد المجيد جليل، و"استخبارات" العهد الجديد وهي بيد محسن الرفيعي، تطارد وتسجن المخلصين من ابناء الثورة، الى ان اغتالها المتآمرون ووفق مخطط المخابرات الامريكية صبيحة ١٤ رمضان في شهر الصوم والغفران!
ان سيماءهم في وجوههم.

×××

بين بغداد وسجن الرمادي، كنت ازور سامي بين فترة وأخرى متقاربة، تكون الاولى مع عائلته، والثانية مع الوالدة. في اثناء المقابلة، كنت اطيل النظر في وجهه المتعب وأحزن لأنه كان بريئا من اية تهمة توجه اليه في حياته، فكيف وهو نزيل سجن سحراوي في الانبار مع نخبة من الوطنيين يقضون مدة سجنهم ايضا لا لذنب سوى انهم كانوا يحضرون اجتماعا تحضيريا لمهرجان الشبيبة العالمي المزمع عقده في هلسنكي الفلندية، في قاعة فندق السفير بشارع ابو نؤاس. كان منهم المحامي طلال عمر موفق، والفنان المعروف احمد الخليل، والناشط خسرو توفيق شقيق الشهيد دارا توفيق، رئيس تحرير جريدة (التآخي) بعد اتفاقية ١١ اذار ١٩٧٠ والذي غدر به ومات تحت التعذيب على يد جلاوزة نظام صدام حسين في اواخر عام ١٩٨٠.
كان سامي يبادلني النظر وفي عينيه بريق أمل للافراج عنه، حيث كنت اطمأنه على قرب اطلاق سراحه نتيجة وساطاتي لدى المرافق الأمين للزعيم، الشهيد وصفي طاهر، وصديق قاسم القريب منه جدا، رشيد مطلق، مدير السياحة العام. وكنت اثناء عودتي كل مرة من الزيارة، اعالج دمعي بعيدا عن نظرات زوجته او والدتي، لما سيبته لسامي البريء، اذ كانت قسمات وجهه لا تغيب عني وهي تحفر علامات التبرم من ظروف السجن، كيف لا، وهو ربيب العز الذي عاشه في كنف الوالد في الاعظمية والكرادة خارج، وفي القاهرة حيث كنا نواصل سوية تحصلينا الجامعي في الجامعة الامريكية.
في ليلة عيد الميلاد ١٩٦٢، زف لي الشهيد وصفي طاهر بشرى اطلاق سراح شقيقي واعفائه مما تبقى من مدة محكوميته بعد ان رزح في زنزانة السجن ما يقرب من ثمانية اشهر، وبعد ان يأس الزعيم طيب القلب، من امكانية استجابتنا للتهديد، ومن محاولات الضغط لاجبارنا على مهاجمة ما اطلقوا على تسميته بالجيب العميل في شمال العراق! وبشخص قائد ثورة ايلول الملا مصطفى البارزاني، شريطة ان اكون في "عرين الأسد" في اليوم التالي من عودة سامي الى احضان عائلته. قررت ان لا استجيب لطلب الزعيم، الا ان المحررين في (البلاد) ارتأوا ان اذهب لانقاذ ما يمكن انقاذه من مغبة المقاطعة حرصا على الثورة خصوصا بعد ان لاحت في الأفق بوادر تآمر جديد على مكاسب شعب الثورة، فما كان مني الا ان ارضخ لطلبهم، فجاء تنفيذ الموعد ظهيرة ذلك اليوم، الذي وقفت فيه على جوانب اخرى من اخلاق وطيبة هذا الانسان الذي اعطى للوطن ما استطاع ان يعطيه من مكاسب متممة لتلك المكاسب التي تحققت للعراق الجديد، ولكن بعقلية العسكري الوطني المخلص لمبدأ الوفاء لعهوده التي انصبت على خدمة الوطن ومساعدة الفقراء.

انه صديق وحبيب فقراء العراق

تركت افراد العائلة يرفلون بثياب العيد، واطفالها يلهون بفلوس العيدية وهم يستذوقون لذة حلوياته، وتوجهت الى زيارة الدفاع حيث ساكون مع الزعيم الذي احببته منذ ان رأيته في اليوم الثاني للثورة يهبط سلالم الوزارة وفي يده غدارة (سترن)، ليلقي نظرة التيقن من "جثمان" نوري السعيد الملقى على قمارة سيارة الاجرة، وهو يبث لنا نحن معشر الصحفيين بشارة: أن الثورة قد نجحت هذا اليوم.
باتت تلك الاطلالة الجميلة ملتصقة في ذهني في كل مناسبة جمعتني بكرومي، وانا ادخل "عرينه" هذه المرة حزينا عليه، وقلقا على مصيرنا نحن الجريدة لثورة تموز ومنجزاتها الوطنية، والايام الحبلى بالمجهول القادم تتسارع، فيرتجف ذراعي اليمين وانا أحاول الإمساك بيده السليمة، وانتابني شعور مفاجيء بأني أصافحه للمرة الاخيرة..
وحقا، كانت مصافحة اللقاء الاخير، الذي ختمه انقلابيو شباط الأسود بالمجزرة التي وقعت بعد اللقاء بشهر وعشرة ايام بالتمام.
قال لي الزعيم:
– انا اعتذر لما أصابكم من حيف بسبب "تمرد" الملا في الشمال!
نظر بعينيه اللامعتين طويلا في وجهي، ولربما توقع مني ان اشكره، الا اني سكت ايضا، ورحت اجول النظر بعيدا عنه في زوايا الغرفة التي سكنها "القائد" مقرا ومنزلا له، يدير اعماله منها، ويلتقي فيها بالمسؤولين والصحفيين والزوار الاجانب، ويتناول على مائدتها طعامه البسيط، ويفترشها ارضا عندما يخلد الى النوم القليل جدا في ساعات متأخرة من الليل، وفجأة بادرني بالقول:
– انا مقدم على اتخاذ خطوات هامة في سياسة الدولة واحتاج الى الدعم الاعلامي.
– وما المطلوب منا يا سيادة الزعيم؟
– اجراء لقاءات صحفية مع "البلاد" و"صوت الاحرار" ومجلة "١٤ تموز"..
– وماذا بشأن جريدة "الثورة" ليونس الطائي؟
– ليس في هذا المجال!
كان الموعد الاول مع صديق قاسم التاريخي، لطفي بكر صدقي صاحب جريدة "صوت الاحرار".
ذهب اليه في الموعد المقرر، الا انه عاد مبكرا واتصل بيّ في الجريدة مستغربا من كلام الزعيم له، وعندما استفسرت منه عن السبب، اجابني بأن قاسم كان غاضبا وهو يتحدث بالهاتف مع "مجهول" ويتوعده بابادة كل من يشترك في المؤامرة عليه.
وتصاعدت وتيرة التآمر على ثورة تموز، وكشفت التقارير السرية التي استلمها عبد الكريم قاسم من الحزب الشيوعي واستخبارات الجيش عن اسماء ضباط ومخطط الانقلاب "الامريكي" المرتقب، فطلب له وحان وقت تنفيذ طلبه باجراء المقابلات الصحفية، وكنت اول المدعوين لمقابلته.
ذهبت الى الجريدة مبكرا لمراجعة مقال لي بعنوان "رسالة عتاب الى عبد الناصر"، حين ترامت الى اذني اصوات اطلاقات نارية قريبة من ساحة الفتح، خلتها ان مصدرها معسكر الرشيد، فعدت الى الدار الكائنة في عرصات الهندية والساعة تشير الى التاسعة، فوجدت حركة غير اعتيادية في مدخل شارع العرصات، ووجود عناصر بزي مدني وهم يحملون على سواعدهم شريطا اخضر اللون، ولم اعر ذلك اي انتباه حتى وصلت الى الدار لأجد اخي سامي واقفا امام باب الحديقة وهو يشير الي بالدخول وبسرعة، والاستماع الى راديو بغداد وهو يبث نشيد الله اكبر والبيان الاول لما اسموه بيان رقم واحد الصادر عن مجلس "قيادة الثورة" ووصولا الى البيان رقم ١٣ سيء الصيت الداعي الى ابادة الشيوعيين. التفت الى سامي وقلت له: انها المؤامرة.
اضطررت الى الاختفاء في دار احد اقاربي، وشاهدت تلفزيون بغداد وهو يعرض صور عبد الكريم قاسم مضرجا بدمائه وقد امسك برأسه احد مراتب الجيش وهو يصفع عليه، والاصوات تنطلق من حنجرة (هناء) عن مصير "عدو الله" و"قاسم العراق" ومعه سقط شهيدا كل من طه الشيخ احمد وكنعان حداد، وخارج دار الاذاعة، سقط الشهداء الآخرون فاضل عباس المهداوي وعبد الكريم جدة والمرافق الأمين للزعيم قاسم، وصفي طاهر، ومن بعدهم، سقط ماجد محمد امين.
لقد سجل تاريخ العراق اسوأ مرحلة في مسيرة شعبه منذ صبيحة ٨ شباط الحزين حتى يومنا هذا.

مات قائد ثورة 14 تموز الرائدة، ومات معه قادة الثورة في مجزرة دار الاذاعة في منطقة الصالحية.

سقط غدرا المئات شهداء للوطن من الضباط الاحرار ومن الشيوعيين والديمقراطيين، وشهدت مسالخ بغداد وقصر النهاية ابشع جرائم التعذيب والقتل، وتلبدت سماء العراق بغيوم سوداء حزنا على ضحايا المجزرة، فخسر الشعب وفقرأوه كل مكاسب ثورة تموز.
لقد عاش عبد الكريم قاسم بطلا وطنيا ومات شهيدا في سبيل المثل العليا والمبادئ السامية كواحد من أنظف وأنبل زعماء العراق والعالم العربي رغم اخطائه وطيبته وسياسة "عفا الله عما سبق"، وجزاء حبه الصادق للشعب والفقراء وكل الطيبين المجبولين بحب العراق.
لقد تأثر عبد الكريم قاسم بكل ما مر به الوطن والشعب، وترك اثرا سيبقى في نفوس اجيال العراق لسنوات قادمة وهي تحاول بناء الوطن الذي اغتاله الانقلابيون القادمون من خارج حدوده، والناكرون لجميله.

عن كتاب شخصيات في ذاكرتي الذي سيصدر قريبا

أول حوار ينشر مع عبد الكريم قاسم بعد ثورة 14 تموز 1958

س/ كم عمرك؟
ج/ أنا مولود في عام ١٩١٤.
س/ في أي شهر؟
ج/ لا اذكر الشهر بالضبط، ان ميلادي الحقيقي في ١٤ تموز عام ١٩٥٨.
س/ هل أنت من أسرة غنية؟
ج/ لا..
س/ هل والدك موظف حكومي؟
ج/ لا.. كان والدي مزارعاً متوسط الحال.

س/ هل لك أشقاء؟
ج/ لي شقيقان وشقيقتان وترتيبي الرابع بينهم.
س/ أين درست في المدرسة الابتدائية؟
ج/ سنتان في بغداد وسنتان في الريف.
س/ أي الدروس كنت تحبها في الابتدائية والثانوية؟
ج/ كنت أحب التاريخ والأدب العربي.
س/ ولماذا دخلت الكلية العسكرية ولم تدخل الاداب مثلاً؟
ج/ رأيت منذ شبابي أن خدمة بلدي ستكون عن طريق الجيش وقد كانت أمامي فرصة أن ادخل الكلية العسكرية قبل إنهاء التعليم الثانوي ولكني رأيت أن أكمل تعليمي الثانوي حتى لا اشعر بأي نقص في الثقافة.
س/ قلت لي أن والدك رجل متوسط الحال فهل كان يقدر على مصروفات الكلية العسكرية؟
ج/ الكلية العسكرية على حساب الدولة وكنا نحتاج إلى نفقات شخصية بسيطة تقدمها لنا عائلاتنا.
س/ كم سنة أمضيت في الكلية العسكرية؟
ج/ ٣ سنوات بدلاً من ٤ سنوات.
س/ لماذا؟
ج/ لأني امتحنت في مواد السنة بعد دخولي الكلية بعشرة أيام فقط ونجحت ونقلت الى السنة الثانية.
س/ كيف كنت تمضي وقت فراغك؟
ج/ في السباحة وقراءة الكتب الأدبية والتحدث مع زملائي.
س/ ما هي أحاديث شبابك؟
ج/ هي نفس أحاديث عمري، التداول عن الوضع العام في البلاد وانتشار الفساد وتطور الأحوال من سيء إلى أسوء.
س/ هل اشتركت في حرب فلسطين؟
ج/ نعم
س/ هل زاد اشتراكك في الحرب من شعورك بمرارة الوضع في البلاد العربية؟
ج/ الشعور موجود وقائم قبل حرب فلسطين والجذوة في القلب متقدة.
س/ ما هو سر نجاح الثورة العراقية؟
ج/ الكتمان.
س/ من علمك الكتمان؟
ج/ هذه طبيعة.
س/ بماذا تؤمن؟
ج/ بالشعب، أن الشعب باق والأفراد يرحلون.
س/ ما هي فلسفة الثورة؟
ج/ تحقيق مصلحة الشعب بطريقة يقبلها الشعب.
س/ ماذا تقصد؟
ج/ إنها ثورة على النظام البائد.. ثورة على الجهاز الحكومي الذي يسيطر على اقتصاديات البلاد، ويستغل الشعب ويستغل موارد البلاد.. ثورة لإيجاد حياة حرة ورفاهية عامة..ثورة لرفع معنويات الشعب وإعزاز كرامته وجعله في مصاف الدول المتقدمة في كل شيء.
س/ ما هي أهداف الثورة الخارجية؟
ج/ جعل الدولة ذات سيادة كاملة مستقلة في تصرفاتها لا تقبل التدخل في شؤونها.
س/ قلت لي انك تفكر في الثورة منذ أن كنت في العشرين من عمرك.. هل كان تفكيرك مقصوراً على تغيير نظام الحكم السياسي أو كنت تفكر في الإصلاح الاجتماعي؟
ج/ أنا لم أفكر وحدي في الثورة، الشعب كله كان يفكر في الثورة ووضع العراق لا يختلف عن وضع أي بلد عربي آخر قاسى من تدخل الأجنبي وتحكم جماعة عابثة في مصيره ومصالحه فالفساد اجتماعي وسياسي وإذا وجد الفساد فأن أفكار الناس تتجه إلى البحث عن طريقة لقلب الأوضاع والتخلص من الحالة التي ترهق الشعب وتكبت حريته، اقصد ان أقول لك أن تفكيري كان منبعثا من تفكير الجماعة في التخلص من الاستعمار الخارجي والفساد الداخلي.
س/ هل تستطيع أن تذكر لي أحداثا معينة بالذات أثرت في تكوينات الثورة؟
ج/ إنها سلسلة متصلة للفساد والطغيان أنا لا استطيع أن ابرز لك أحداثا معينة بالذات، فلا فرق بين يوم ويوم أو بين ساعة وساعة إنها قصة لم تنته ولم تقف عند حد، ومنذ نشأت وباشرت إدراكي للحالة السائدة في العراق عرفت هذه الحقيقة.
س/ ما هي فلسفتك في الإصلاح الاجتماعي؟
ج/ الإصلاح الاجتماعي يتطور بتطور الزمن.

عبد الكريم قاسم في مؤتمر صحافي بعد ثورة ١٤ تموز والى جانبه صديق شنشل وورائهما وصفي طاهر وجاسم العزاوي مرافق وسكرتير قاسم

مجلة المصور المصرية
آب 1985

بالقرب من احد المواقع العسكرية في فلسطين، امر الفوج المقدم الركن عبد الكريم قاسم وبعض ضباطه سنة ١٩٤٨

عبد الكريم قاسم بلا رتوش

فيصل الشيخ رضا الزركان

ربما من الممكن بالنسبة للعديد من المتابعين لشؤون السياسة في البلدان التي كانت وما زالت تدعي ببلدان العالم الثالث، أن يضعوا تصوراتهم وآرائهم حول تأثيرات وملامح المراحل التاريخية العقدية التي تمر بهذا البلد أو ذاك.. وفي هذا السياق، يوجد خياران، اما أن يكون المتابع من الفصيل الذي عاش التجربة، أو من الفصيل الذي قرأ عنها من خلال ما توفر لديه من مصادر تتعلق بذات التجربة التي يناقشها أو يكتب عنها.

ولعل تجربة الحكم في العراق بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ واحدة من بين تلك التجارب التي شغلت والي وقتنا الراهن اهتمام الكثيرين من الكتاب والسياسيين من كلا الفصيلين!!.

كما واحتلت الكتابات التي دارت حول قائد الثورة الزعيم عبد الكريم قاسم، موقعا متميزا بين مختلف النشريات التي تناولت هذه الثورة وشخصية عبد الكريم قاسم بالذات. ومن خلال ما كتب حتى الآن لم يظهر الا القليل جداً ممن تعرض الى عبد الكريم قاسم بالنقد السلبي، في حين شكلت الكتابات الايجابية حوله نسبة عالية للغاية.

لكن أبرز ما يمكن التأكيد عليه، هو ذلك التقييم الايجابي الذي صدر عن بعض السياسيين الذين كانوا في مرحلة حكم عبد الكريم قاسم معارضين له، بل وإن بعضهم ربما شارك في عملية إطاحته به ومن ثم نقله الى دار الاذاعة والتلفزيون ومحاكمته وتنفيذ حكم الاعدام به وبزملائه الأخرين.

هؤلاء.. وبعد مرور تلك العقود الطويلة.. ومن خلال فحص تاريخي للتجربة ولرجل التجربة الأول.. أدركوا بأن موقفهم السابق تجاه الزعيم عبد الكريم قاسم كان موقفاً مشحوناً بالعاطفة السلبية، ويتسم بالخطأ غير المبرر في مثل هذا الوقت.. وعليه فانهم أعادوا النظر في قناعاتهم المعكوسة آنذاك، فكتبوا الشيء الكثير مما يعبر عن تراجعهم عن ذلك الموقف!!. اليوم.. وبعد مرور اكثر من ٥٠ عاماً على ثورة ١٤ تموز، و٤٨ عاماً على اعدام قائد الثورة.. لا بد لنا من تسجيل بعض الملاحظات التي تتعلق بعبد الكريم قاسم.. والغاية من ذلك هي، محاولة لرسم الصورة الحقيقية له دون رتوش!!..

وفي الواقع، فان الشخصيات السياسية العراقية التي أدارت دفة الحكم منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة والي الآن، انتمت الى أجيال.. وكل جيل من هذه الأجيال تربى في بيئة وظروف سياسية مختلفة، بل وان سمات المرحلة التي عاش فيها كل جيل لا بد أن تؤثر فيه الى حد كبير، لأنها تشكل حاضنة تربوية له، وبخاصة في فترات الانعطافات السياسية الهامة.

وعبد الكريم قاسم، من حيث التقييم العام، ينتمي الى بيئة اجتماعية فقيرة، وان كانت عائلته، الى حد ما تعتبر من حيث التصنيف الطبقي، عائلة من الطبقة الوسطى.وكما هو شأن كافة العوائل التي دخلت معترك التعليم، وأصبح بعض أبنائها يرتادون المدارس والمعاهد والجامعات، ويتعرفون على مفاصل هامة في الثقافة الوطنية، فان عبد الكريم قاسم شبّ في هذا الوسط، وتأثر به، بل وبدأ يتلمس طريق الوطنية العراقية من خلال انعكاسات الواقع السياسي آنذاك، وبخاصة أثناء ثورة مايو واعدام الضباط الأربعة.

هذا المنعطف هو المحطة الأولى التي شكّلت فيما بعد الانتماء القومي العربي لدى عبد الكريم قاسم، والذي صقل بشكل فعّال أثناء أحداث فلسطين، والتي شارك فيها كضابطٍ بسيط.

كذلك فان التربية الاجتماعية السائدة لدى أكثرية العوائل العراقية كانت مبنية على نزعة حب الوطن والالتزام بالقيم الأخلاقية الرفيعة، والصدق في التعامل، والتضحية من أجل الفقراء وما الى ذلك من أفكار كان ذلك الجيل يسمعها يومياً من ذويه في البيت وفي الشارع والمدرسة والعمل.. كل ذلك أثر وبصورة فعالة في صياغة سلوك عبد الكريم قاسم الشخصي فيما بعد، وقد انعكس ذلك في تصرفاته حين أطاح بالنظام الملكي عام ١٩٥٨، وقد أكدت شهادات القريبين منه، أنه لم يكن يرغب بقتل العائلة المالكة، ولا حتى نوري السعيد، لو كان قد سلّم نفسه لقيادة الثورة..

والدليل على ذلك، موقفه تجاه المجموعة التي حاولت اغتياله في شارع الرشيد.. فقد عفا عنها على الرغم من موجة المطالبة الشعبية الواسعة للاقتصاص منها!!..هذه الملامح الأخلاقية الرفيعة التي كانت تشكل شخصية عبد الكريم قاسم، وهي بالتأكيد لا تنسجم مع ملامح لنماذج من الأجيال السياسية الأخرى.. فلو قدّر لنوري السعيد مثلاً أن يمسك بعبد الكريم قاسم وزملائه قبل تنفيذ الثورة أو بعد فشلها، لأقدم على اعدامهم دون تردد.. والسبب طبعاً يكمن في النزعة الانتقامية التي تميّز بها جبله آنذاك.. والدليل على ذلك، اغتيال صدقي بكر بتدبير منه كردٍ على مقتل جعفر العسكري..

وهذا ما ينطبق أيضاً على الجيل الأكثر شباباً من جيل عبد الكريم قاسم، أي مجموعة الضباط الذين قاموا بانقلاب شباط ١٩٦٣، فهؤلاء لم يتحلوا بنفس أخلاقية جيل عبد الكريم قاسم، فانتقموا منه شرّ انتقام، مع أنه كان قد عفا عن بعضهم حين تم اكتشاف محاولاتهم الاطاحة به.

كما ويبدو أن مستوى الشعور بالمسؤولية الوطنية تجاه المجتمع هو الآخر يعتبر مقياسا مختلفاً بين أصناف الأجيال السياسية الحاكمة.. ففي الوقت الذي نجد فيه عبد الكريم قاسم يصرف مرتبه الشهري على الفقراء، فان هنالك من ينهب المال العام دون اكتراث أو حتى شعور بقدرٍ طفيف من المسؤولية الوطنية!!..

المشكلة كما نراها اليوم، أن عنصر النقاء الوطني قد اختفى بدرجات معينة عن العديد من المسؤولين في الدولة العراقية، فأخذوا يمارسون عملية سرقة منتظمة لمقدرات البلد دون أي وازع أو خجل حتى وان توجهت اليهم أصابع الاتهام بالعار مثلاً!!..

لقد كان جيل عبد الكريم قاسم يتميز بوطنية عراقية نزيهة للغاية، اضافة الى شعور بالفخر والاعتزاز بالهوية العراقية التي كان يؤكدها في معظم خطبه.

هذا الأمر لا نجد له ثمة وجود في وقتنا الراهن لدى الكثيرين من المسؤولين العراقيين..

لقد تراجعت القيم النبيلة والالتزامات الوطنية وأصبح الوضع الحالي مختلفا عن ذلك الوضع الذي رافق سنوات ثورة ١٤ تموز وأخلاقية قائد الثورة الزعيم عبدالكريم قاسم.. فرحم الله ذلك الزمان وقيمه ووطنيته!!..

53

بيانات الثورة

في الساعة الثالثة من صباح يوم ١٤ يوليو اذاع راديو بغداد بيانات الثورة ... ثورة شعب على الذل والعبودية والاستعمار

كلمة الافتتاح

للفريق الركن نجيب الربيعي ، رئيس مجلس السيادة

جزا الاستعمار الشعوب العربية اجزاء محددة بحدود مصطنعة ، واسماء مختلفة ، مما زاد في ضعفها ، فدان على الشعوب العربية ان تكافح لتجمع شملها وان تتحرك ثائرة غاضبة لتحطم القيود والحدود ، لمواجهة المستعمر وتحطيم سياسته الاقليمية . ولهذا الهدف قامت الثورة العراقية ، وغايتها الاتصال بالشعوب العربية الاخرى ، وتوحيد كيانها في الكفاح لاستكمال الغاية

وكانت خطة العمل تبدا بالتمهيد والتحضير ، وقد استمرت هذه مدة طويلة ، وكانت الفرص تمر والانتظار يطول ، الى ان كان يوم ١٤ تموز (فكانت الفرصة السانحة المواتية . فانتهزتها الثورة وحطمت اصنام الاستعباد و في سويعات فخر كيانه الى الارض ... وكان هذا هو الهدف الاول

وبعد هذا النجاح جاءت خطة استثمار الفوز بالاصلاح الشامل في الداخل و الامن ، وتوزيع المسئوليات والواجبات في التشكيل الجمهوري الجـ وتخطيط السياسة الخارجية لاعادة حقوق الدولة والشعب الى نصابها والتعاون بما يجمع شمل العروبة بكيان سام بين الامم وتعزيز القومية العربي باجلى معانيها . وكل هذه الاهداف تسير على الاسس التي بنيت عليها الثو وهي تركيز الجهود وكتمان الخطط وسرعة التنفيذ ، واستكمال الكف لبلوغ الغاية المنشودة متوخين في ذلك التعاون مع اخواننا الشعوب العربـ واصدقائنا جميعا ، واضعين نصب اعيننا العمل بالمساواة المرتكزة على اسـ التكافؤ بين المجموعات ، واعطاء المرء حقه بقدر ما يجنى من عمل وما يبـ من مجهود

اما الحرية التي كانت من اسمى اهداف الثورة فهي الحرية الخالصـ من الشوائب والنواقص ، والمتصفة بصفات الفضيلة والمروءة ، والتي لا تمـ حريات الاخرين ، وتمارس بالتعاون الصالح ، والامر بالمعروف ، والنهي عـ المنكر ، وتوحيد الجهود في جميع نواحي الصالح العربي العام ، والحياة الابيـ التي ليس فيها الا حق لك او حق عليك وواجب تقوم به الافراد او تقوم المجموعات

هذه اهدافنا ولا شك في ان جميع اخواننا في الاقطار العربية يشاركوننا فيـ والمستقبل كفيل ببلوغنا غاياتنا اذا ماشددنا العزم ، وتآزرنا ، ونبذنـ الخلافات . وكان الله في عون المخلصين

نجيب الربيعي

البيان رقم ٢

بناء على ماتقتضيه المصلحة العامة واستنادا الى ما جاء في بياننا المرقم ١ والمؤرخ في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٧٧ الموافق ١٤ تموز سنة ١٣٧٧ تقرر تاليف مجلس السيادة للدولة على الوجه التالي :

١ ـ الفريق الركن نجيب الربيعي رئيسا .
٢ ـ السيد محمد مهدي كبة عضوا .
٣ ـ السيد خالد النقشبندي عضوا .

بغداد في ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٧ ، الموافق ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨

(الزعيم الركن عبد الكريم قاسم)
القائد العام للقوات المسلحة الوطنية

جيش الجمهورية الفتية

يتالف جيش العراق من اربعة اقسام :

١ ـ الجيش العامل
٢ ـ جيش الاحتياط
٣ ـ شرطة البادية والشرطة السيارة
٤ ـ الشرطة النظاميون

كانت اسلحة الجيش العراقي من فضلات اسلحة الجيش الامريكي والانجليزي ، واكثرها مستهلك لا يصلح للاستعمال . وعندما تحرك اللواء المشرون (الذي قام بالثورة) وفق السياسة الاستعمارية الى الاردن ومنها الى لبنان كانت خطة نوري السعيد الخبيثة ترمي الى وضع ضباط من عملائه في قيادة القوات المقاتلة فضلا عن الاغداق على الجيش بالمرتبات والترفيعات والامتيازات ومع ذلك فقد ظل الجيش على صلابته وايمانه بوطنه وبعهده الصادق على تحريره ، حتى وفى بالعهد في ليلة ١٤ يوليو احسن الوفاء

الجيش العامل

ويتكون الجيش العامل من ٦ فرق ، يختلف عدد افرادها باختلاف اسلحتها ، ويتجاوز مجموع عدد افراد هذه الفرق ١٠٠,٠٠٠ ضابط وجندي

وفي سنة ١٩٢٠ بعد الثورة العراقية انتظم الجيش العراقي على اساس اولئك الضباط الذين اشتركوا في الثورة العربية

ولما قامت الحرب العالمية الثانية ، اتيحت للجيش العراقي العامل فرصة التزود ببعض الاسلحة الحديثة ، وانشئت له قاعدة حربية ضخمة على الحدود العراقية الاردنية السورية ، معدة لتزويد فرقتين مصفحتين بكامل ما يلزمهما من ذخيرة وتموين وقطع غيار . ومنذ ٤ سنوات اعتمد مبلغ خمسة ملايين من الجنيهات لتغيير خطوط مواصلات الجيش العراقي بحيث يستطيع مواجهة الموقف في حالة حدوث حرب مفاجئة على الحدود

وانشا الجيش البريطاني قاعدة جوية كبرى له في « منطقة الحبانية » ... وتم جلاؤه عنها على مراحل كانت آخرها في سنة ١٩٥٦ ، وبقي لهم « خيرا » ، كما حدث في قاعدة الفنال في مصر . وما زال هؤلا الخبراء يقيمون في الحبانية . وقد احتاط الجيش العراقي يوم الثورة فلم يحدث اي صدام بينه وبين هؤلاء الخبراء ، او بينهم وبين قوات الشعب الثائر

جيش الاحتياط

ويتالف جيش الاحتياط مما يربو على ربع مليون ضابط وجندي ، ممن سرحوا من الخدمة العسكرية ، او الذين انتهت مدة خدمتهم الاجبارية تطبيقا لقانون التجنيد الاجباري الذي صدر منذ ٢٥ سنة ، والذي ستتناوله حكومة الثورة بالتعديل الواسع . وضباط جيش الاحتياط من الضباط الذين احيلوا الى التقاعد ، ومن خريجي كليات الجامعة المدربين تدريبا عسكريا

شرطة البادية والشرطة السيارة

كان نوري السعيد وعبد الاله يخشيان

الدستور المؤقت

الباب الاول

مادة ١ الدولة العراقية جمهورية مستقلة ذات سيادة كاملة

مادة ٢ العراق جزء من الامة العربية

مادة ٣ يقوم الكيان العراقي على اساس من التعاون بين المواطنين كافة باحترام حقوقهم وحرياتهم ، ويعتبر العرب والاكراد شركاء في الوطن ويقر دستور هذا حقوقهم القومية

مادة ٤ الاسلام دين الدولة

مادة ٥ عاصمة الجمهورية العراقية بغداد

مادة ٦ يعين العلم العراقي وشعار الجمهورية العراقية الاحكام الصادر بهما قانون

الباب الثاني

مادة ٧ الشعب مصدر السلطات

مادة ٨ الجنسية العراقية يحددها القانون

مادة ٩ المواطنون سواسية امام القانون في الحقوق والواجبات العامة ، ولا يجوز التمييز بينهم بسبب الجنس او اللغة او الدين او العقيدة

مادة ١٠ حرية الاعتقاد والتعبير مضمونة وتنظم بقانون

مادة ١١ الحرية الشخصية وحرمة المنازل مضمونتان ولا يجوز التجاوز عليهما الا بحسبما تقتضيه السلامة العامة . وينظم ذلك بقانون

مادة ١٢ حرية الاديان مضمونة ومتنافية مع الآداب العامة

مادة ١٣ الملكية خاصة مصونة . وينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية ، ولا تنزع الا للمصلحة العامة ومقابل تعويض عادل وفقا للقانون

مادة ١٤ (١) الملكية الزراعية تحدد وتنظم بقانون

(ب) تبقى حقوق الملكية الزراعية مصونة بموجب القوانين المرعية الى حين استصدار التشريعات واتخاذ التدابير الضرورية لتنظيمها

مادة ١٥ لا يجوز فرض ضريبة او رسم او الغاؤها او تعديلها الا بقانون

مادة ١٦ الدفاع عن الوطن واجب مقدس ، وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين وتنظم احكامها بقانون

مادة ١٧ القوات المسلحة للجمهورية العراقية ملك للشعب ، ومهمتها حماية البلاد وسلامة اراضيها

مادة ١٨ الدولة هي وحدها التي تنشئ القوات المسلحة ، ولا يجوز لاية هيئة او جماعة انشاء تشكيلات عسكرية او شبه عسكرية

مادة ١٩ تسليم اللاجئين السياسيين محظور

الباب الثالث

مادة ٢٠ يتولى رئاسة الجمهورية مجلس السيادة ويتالف من رئيس وعضوين

وهؤلاء رجالها الأحرار

الفريق الركن نجيب الربيعي : رئيس مجلس السيادة

من مشيرة الربيعي القوية الجانب ، يستطع ان يكتشف سر هذه الصلة . ووصل الى منصب قائد الفرقة الثالثة في بعقوبة ، وكان الاحرار يعقدون آمالا

البيان رقم ١

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الشعب العراقي الكريم :

بعد الاتكال على الله وبمؤازرة المخلصين من ابناء الشعب والقوات الوطنية المسلحة اقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة ، التي يضعها الاستعمار لحكم الشعب والتلاعب بمقدراته لمصلحتهم وفي سبيل المنافع الشخصية

ايها الاخوان :

ان الجيش هو منكم واليكم ، وقد قام بما تريدون ، وازال الطبقة الباغية التي استهترت بحقوق الشعب ، فما عليكم الا ان تؤازروه ، واعلموا ان الظفر لايتم الا بترصينه والمحافظة عليه من مؤامرات الاستعمار واذنابه . وعليه فاننا نوجه اليكم نداءنا للقيام باخبار السلطات عن كل مفسد ومسيء وخائن لاستئصاله ونطلب منكم ان تكونوا يدا واحدة للقضاء على هؤلاء ، والتخلص من شرهم

ايها المواطنون :

اننا بالوقت الذي نكبر فيكم الروح الوطنية الواثبة والاعمال المجيدة نهديكم الى الخلود والى السكينة والى التمسك بالنظام والاتحاد والتعاون على العمل المثمر في سبيل مصلحة الوطن

ايها الشعب :

لقد اقسمنا ان نبذل دماءنا وكل عزيز علينا في سبيلكم ، فكونوا على ثقة واطمئنان بانا سنواصل العمل من اجلكم ، وان الحكم يجب ان يعهد الى حكومة تنبثق من الشعب وتعمل بوحي منه . وهذا لايتم الا بتاليف جمهورية شعبية تتمسك بالوحدة العراقية الكاملة ، وترتبط برباط الاخوة مع الدول العربية والاسلامية ، وتعمل بمبادىء الامم المتحدة وتلتزم بالعهود والمواثيق وفق مصلحة الوطن ، وبقرارات مؤتمر باندونج

وعليه فان هذه الحكومة الوطنية تسمى منذ الان « الجمهورية العراقية » وتلبية لرغبة الشعب قد عهدنا رئاستها بصورة وقتية الى مجلس سيادة يتمتع بسلطة رئيس الجمهورية ريثما يتم استفتاء الشعب لانتخاب الرئيس فالله نسال ان يوفقنا في اعمالنا لخدمة وطننا العزيز انه سميع مجيب

بغداد في ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٧ ، الموافق ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨

(الزعيم الركن عبد الكريم قاسم)
القائد العام للقوات المسلحة الوطنية

البيان رقم ٣

١ ـ تعلن الاحكام العرفية في جميع انحاء العراق بصورة مؤقتة ، الى حين صدور امر بالغائها .

٢ ـ تكون الادارة في جميع العراق ادارة عسكرية صرفة ، ويكون الحاكم العسكري العام مرجعا على جميع الادارات ، وله توزيع السلطات والاعمال على جميع الموظفين حسب تنسيبه .

٣ ـ يوقف تنفيذ القوانين لاصول المحاكمات الجزائية وادارة الالوية والجمعيات والاجتماعات والتجمعات والمطبوعات وانضباط موظفي الدولة والخدمة المدنية القضائية ونظام دعاوى العشائر والقوانين الاخرى بقدر ما بها من مساس بالاجراءات او المحاكمات التي تتطلبها الادارة العرفية حسبما يتراءى للحاكم العسكري العام .

بغداد في ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٧
الموافق ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨

(الزعيم الركن عبد الكريم قاسم)
القائد العام للقوات المسلحة الوطنية

البيان رقم ٤

من قائد القوات المسلحة الى الشعب العراقي الكريم :

ان الشعور الوطني الرائع الذي استقبل به المواطنون انتفاضة جيشهم الباسل وثورته على الظلم والطغيان الذي كابدوا منه طويلا سيكون اقوى دافع يدفعنا للعمل من اجل ما يهدف اليه شعبنا . واليوم وبعد ان ركزت الثورة اقدامها واصبحت وجها لوجه امام مستقبل يقتضي العمل والتكاتف . لذلك فنحن نهيب بجميع المواطنين ان يعودوا الى اعمالهم المعتادة وان يلتزموا جانب الهدوء

وان يفسحوا جانب المجال للسير قدما في الطريق التي فررت الثورة انتهاجها . اننا ننتظر من مواطنينا الذين ابدوا دورهم للتعبير عن فرحتهم واغتباطهم لاستقبال هذا الحدث التاريخي الخالد ان يؤدوا الدور الجديد الذي يتطلبه الواجب الوطني في مرحلتنا القادمة . وهو العودة للعمل والتزام الهدوء واليقظة

بغداد في ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٧
الموافق ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨

(الزعيم الركن عبد الكريم قاسم)
القائد العام للقوات المسلحة الوطنية

هدفنا إعلاء كلمة العرب

للزعيم الركن عبد الكريم قاسم ، رئيس مجلس الوزراء

ان ثورتنا ثورة شعب بامره ، اشترك فيها الجيش ، وساهم فيها ابناء البلاد المخلصون في جميع ارجاء العراق . وهذه الثورة ان هي الا امتداد لثورات الشعب المتوالية على الطغيان عبر التاريخ

وعلى الجيش ، وعلى ابناء هذا الشعب الاحرار ، وعلى تكاتلهم جميعا ، يتوقف مستقبل هذا البلد ، فتكاتلنا وتعاوننا هو حجر الزاوية لبناء مستقبل زاهر ، وينبغي الا ننسى ان المستعمر لن يتوقف عن مؤامراته واعماله التخريبية تجاه هذا البلد ، فبفضل يقظتنا وانتباهنا سوف نقضي على هذه المؤامرات

لقد تحررنا ، ولن نرتد الى الوراء ، وسنعمل على ان تكون اسلحة جيشنا وتدريبه على درجة عالية من الكمال . وسنستغل مواردنا لمصلحة الشعب ورفع مستوى معيشته . وسوف تكون غايتنا الصداقة مع الجميع

ليس لنا غاية مع اية دولة ، وسنعيش بسلام مع جميع الشعوب ، وسنحافظ على كياننا بفعالنا ، وسنتعامل مع جميع الدول على اساس المساواة والمنفعة المتبادلة وسنحافظ على كرامتنا وعلى استقلال هذا البلد

لقد حافظنا على ثروتنا ، وسنحافظ على كياننا ، وسنسير مع موكب الحرية . ان عجلة التاريخ تدور ، ولقد ذهب الذل والعار ، وول عهد الظلم والطغيان ، وحل عهد الحرية والكرامة والاستقلال

كنا نخاف بعضنا البعض ، فقد غرس المستعمر الشك والخوف وعدم الثقة في نفوسنا ، فكان الاخ لا يثق باخيه ، وكان كل فرد يخاف الآخر ... اما اليوم فان عهدا جديدا من الاخوة الصادقة والمحبة المتبادلة والاخلاص والتعاون قد حل في جمهوريتنا الفتية في سبيل بناء مستقبل افضل

ان الجمهورية العراقية جمهورية مسالمة تنشد صداقة شعوب العالم باخلاص ، بعد ان كان العراق مركزا للتآمر على البلاد العربية والسلام العالمي

لن نرجع نحن الى الوراء ، سنعزز كياننا الذي حصلنا عليه ، ان شاء الله ، ونوحد اهدافنا وميولنا مع اخواننا في الدول العربية الاخرى ، ولن يكون بعد اليوم فرق بيننا وبينهم ، وسنعمل دائما فيه صالح الشعب العربي

واننا نؤثر دواما ان نعمل بخطوات متزنة ، وهدفنا المصلحة العامة ، وانتصار القومية العربية ، واعلاء كلمة العرب

الزعيم الركن عبد الكريم قاسم

بريطانيا والموقف من ثورة 14 تموز

د . وليد الاعظمي
مؤرخ ومترجم

ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ نقطة مضيئة في تاريخ العراق السياسي المعاصر ومرحلة جديدة في حياته وحياة المنطقة العربية لتحطيمها قلعة من قلاع النفوذ البريطاني في المنطقة العربية كما ان هذه الثورة جاءت تتويجا لنضال الشعب العراقي في تاريخه المعاصر بدءا من ثورة العشرين وانتفاضة ١٩٤١ ووثبة كانون الثاني ١٩٤٨ وانتفاضة ١٩٥٢ واستنكار حلف بغداد (شباط ١٩٥٥) وانتفاضة استنكار العدوان الثلاثيني على مصر ١٩٥٦.

وقد كتب عن هذه الثورة الكثير الا ان جميع ما كتب مثل وجهة نظر تكاد ان تكون متقاربة لانها تمثل وجهة نظر عراقية ازاء هذا الحدث السياسي المهم في حين غابت وجهة النظر البريطانية عن جميع هذه الدراسات والابحاث وهي نظرة لا تخلو من الاهمية لان بريطانيا كانت المتضرر الاول من قيام هذه الثورة.

ولم يغفل الباحثون والدارسون وجهة النظر البريطانية هذه عن قصد وانما يعود السبب في ذلك الى ان الوثائق البريطانية المتعلقة بهذا الحدث لم يفرج عنها الا في بدء هذا العام بعد ان رفعت عنها قيود السرية .

ثورة14 تموز 1958.. الساعات الأولى

في الصباح الباكر من هذا اليوم تمكنت إحدى تشكيلات الجيش العراقي الباسل لواء المشاة العشرين المتجهة مع معسكر جلولاء في بعقوبة إلى الأردن عبر بغداد لدعم حكومة لبنان من إسقاط النظام وإعلان قيام الجمهورية العراقية وبذلك تحطمت اكبر وأهم مناطق النفوذ البريطاني في المنطقة خاصة وان العراق كان قد ارتبط بحلف بغداد عام ١٩٥٥ هذا الحلف الذي ضم تحت مظلته: (تركيا وايران وباكستان وبريطانيا) وبدعم واسناد من الولايات المتحدة الاميركية.

لقد قامت الثورة في وقت كان الاضطراب السياسي واعمال العنف تجتاح لبنان بسبب ردود الفعل القوية للوحدة العربية بين مصر وسوريا وقيام الجمهورية العربية المتحدة (شباط ١٩٥٨ اما الوضع الداخلي في العراق فنستطيع ان نتلمسه من خلال ما كتبه السفير البريطاني في بغداد ٢٣ حزيران ١٩٥٨ بعد لقائه مع نوري السعيد يقول السفير البريطاني في تقريره السري للغاية والموجه الى وزارة الخارجية البريطانية.

× يقول نوري انه يأمل أن يستقبله رئيس الوزراء البريطاني وانتم (يقصد وزير خارجية بريطانيا) اذ ان هناك الكثير من المواضيع التي يريد التحدث عنها وسألني فيما إذا قمت بإبلاغكم عن آرائه التي عبر عنها لي في الأسابيع الأخيرة بصدد كافة القضايا المهمة وقد أجبته بالإيجاب تماما.

× كان نوري هادئا ووديا إلا انه ما زال متشائما اذ عبر عن قلقه ومخاوفه حول الوضع في لبنان وخوفه قيام عمر شولد امين عام الامم المتحدة بالتوصل الى حل مع عبد الناصر يحقق له النجاح وكرر ان العراق مستعد لإعطاء لبنان أية مساعدة عسكرية ام غيرها الا انه يبدو ان كميل شمعون لا يتمكن من اتخاذ القرار ولا يعرف ماذا يريد ثم قال نوري انه سيئبت فشل الاتحاد الهاشمي وهناك العديد من القوى التي تعمل ضد نجاحه اكد انه مالم تنضم (الكويت) الى الاتحاد فانها ستكون معرضة للتهديد وسيضيع الكويت والاتحاد سوية وقد كانت هذه نظريته ومحور حديثه خلال الاسابيع الماضية كما تم طرح الموضوع علي اي السفير البريطاني بحماس من قبل عبد الوهاب مرجان رئيس الوزراء الاسبق ورئيس مجلس النواب وكذلك من قبل رئيس الديوان الملكي واكد نوري مرة اخرى مالم يتم ضم الكويت الى الاتحاد فانه يجب القيام بعمل ما تجاه سوريا على الرغم من ان نوري يعتقد بان النقص في لغطاء الجوي يعتبر العامل الاكبر لعدم القيام بشئ اتجاه سوريا ويختم السفير البريطاني تقريره بان نوري قد يلعب اللعبات الذكية والمحسوبة ذات الطابع التنفيذي تستهدف ابتزازنا والامريكيين على الرغم قمن ان لا اعتقد بان هذا هو التفسير الصحيح للدوزافع نوري وتصرفاته لانه يعاني من ضغوط نفسية كبيرة وعلى الرغم من ان الدكتور هاركرنزي اكد لي بان صحته جيدة الا ان انطباعي عنه هو انه في حالة معاناة عصبية شديدة التوتر واعتقاد ان انفعالاته الاخيرة وتصريحاته كانت مخلصة وانه كان يقصد ما يقول ادناه وان مزاجه قد يصل الى اتخاذ اجراء غير حكيم ويجعل تصرف بشكل غير متوقع خاصة اذا لم يتم الاعتناء به ورعايته واعطاء الوقت لكي تهدا اعصابه ولهذا السبب الاخير وجدت من الصعوبة ان انقل انفجارات نوري.

وفي الساعة السابعة وعشرة دقائق ابرق السفير البريطاني في بغداد مايكل رأيت برقيته المرقمة ١٢٦٧ والموجهة الى وزارة الخارجية البريطانية تحت عنوان: مستعجل وطارئ يقول فيها: سقطت إذاعة بغداد بأيدي الحكومة الثورية منذ الساعة السادسة صباحا على الأقل معلنة قيام الجمهورية العراقية وحكومة يرأسها الزعيم عبد الكريم قاسم كرئيس للوزراء تضم عناصر قومية يضمنها محمد حديد وصديق شنشل.. هناك تظاهرات تحتفل بقيام الثورة وبحماس والثوار يحاصرون دائرة المعلومات وشعبة القنصلية في السفارة وعددهم بالمئات وقد تم انسحابهم وقد انسحبت قوة حراسة الشرطة إذ أذيع بالراديو التماس الجمهور باحترام البعثات الدبلوماسية الأجنبية وكافة الموظفين وعوائلهم في أمان وقد تم توجيه النصيحة إلى الجالية البريطانية بالبقاء في مساكنهم. ثم وجه السفير البريطاني بعد مرور ٢٥ دقيقة برقية اخرى الى الخارجية البريطانية مستعجلة وسرية يعلمهم فيها بانقطاع الاتصال مع الحكومة الشرعية ويطلب تهيئة لواء مظلي من قبرص مهيأ للحركة عن الحاجة لحماية أرواح المواطنين البريطانيين والأجانب او لأي سبب آخر. وفي الساعة ٤/١١ أرسلت وزارة الخارجية البريطانية برقية مستعجلة تحت رقم ١٤٢ إلى سفارتها في تركيا تسال فيها عن تواجد ملك العراق ونوري او اي من الشخصيات القيادية العراقية في تركيا ثم طلبت استطلاع وجهات النظر التركية التمهيدية حول الموقف في العراق لأنها ذات فائدة.

ثم أجاب السفير البريطاني في الفقرة (جي بوكر) ببرقية تحت رقم ١٠٨٧ في ١٤ تموز ١٩٥٨ عن برقية وجهتها الخارجية البريطانية الى سفارتها في طهران يقول فيها: إشارة لبرقيتكم المرقمة ٨٥٣ والمعنونة إلى طهران نقل السفير التركي في بغداد ما يلي :

١- تم تدمير السفارة البريطانية ونهب محتوياتها

٢- تم القاء القبض على اللواء الركن الجنرال غازي الداغستاني.

٣- واستنادا الى بعض التقارير فقد قتل فاضل الجمالي

٤- لا تتوفر اية أخبار عن توفيق السويدي

٥- استنادا إلى الإشاعات الواردة من عدة مصادر يحتمل هروب نوري

وفي الخامس عشر من تموز بادرت السفارة الاميركية في بغداد باعطاء المعلومات اللازمة عن الثورة والموقف في بغداد والتي نقلها السفير البريطاني اللورد هود في واشنطن الى حكومته بالبرقية المرقمة ١٩٠٥ فوري وموثوق وجاء فيها:

١- المعلومات التالية من تقارير حديثة استلمت من السفارة الامريكية في بغداد والتي قد تكون ذات اهمية.

٢- قتل أمريكيان احدهما السيد تولي رئيس شركة بيكتل وكان بين عشرة اشخاص تم اخذهم من قبل العسكريين من فندق بغداد الجديد قبل وصول رايت وتم القبض عليهم من قبل المتظاهرين.

٣- ما زالت السفارة الامريكية تقول انه يبدوا ان الانتفاضة تنحصر في بغداد على الرغم من ان القوة الجوية تبدو مع المتمردين يقصد الثوار وعلقت السفارة على غياب اصدار اي بيان عام من قبل الوزراء المدنيين وغياب اية سياسة متلازمة حول الإعلام والدعاية انهم أي الوزراء المدنيين لعبة بيد العسكر..

× السفير البريطاني يقابل عبد الكريم قاسم

ارسل السفير البريطاني تقريرا مفصلا اخر عن الاوضاع في بغداد الثورة في الوقت نفسه من يوم ١٥ تموز ومقابلته لعبد الكريم قاسم يقول:

١ - قابلت الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء ووكيل وزير الدفاع والعقيد الركن عبد السلام عارف نائب رئيس الوزراء ومحمد حديد وزير المالية ونلك في الساعة الثالثة عصر هذا اليوم

٢ - لقد استفسرت حول الضمانات الرسمية لضمان حياة ارواح المواطنين البريطانيين وممتلكاتهم والتي نحن مسؤولون عنها .

٣ - ثم قلت انه عند الحاجة اطلب الامان لتسفير المواطنين البريطانيين وكذلك هؤلاء الاشخص الذين في مسؤوليتنا .

٤ - قدمت احتجاجا رسميا حول عدم حماية السفارة وارواح الذين كانوا في الداخل .

٥ - وكان يبدو عليهم الالم واضحا لإعطاء الانطباع بأنهم متودون وصريحون.

وفي تقرير اخر مرسل بتاريخ ١٦ تموز يؤكد السفير البريطاني مثل هذا اللقاء ويضيف في مقابلة لرئيس الوزراء المتمرد ووزيرين أخرين اشرت الى اسميهما يوم امس قدمت احتجاجا شديد اللهجة ضد الاجراء الذي اتخذ ضد موظفي السفارة وتدمير بنايتها وقلت بان حكومة صاحبة الجلالة تعتبر السلطات العراقية مسؤولة عن الموت والاضرار . ويقول السفير لقد جئت توا من اجتماع مع زملائي السفير الايراني والباكستاني والتركي والألماني والسوداني وقد اتفقنا جميعا على تقديم الطلبات التالية الى الحكومة العراقية ومنها ضرورة فتح المطار نهارا للأغراض التجارية او اي طائرة اخرى للسماح للأشخاص بالسفر أو دخول العراق بحرية وليس على أساس الجلاء بل السفر الاعتيادي .

حلف الأطلسي يناقش الموقف في العراق

بناء على طلب الوفد الامريكي في حلف شمال الأطلسي في باريس بادر الحلف إلى الاجتماع الساعة الواحدة من ظهر يوم ١٥ تموز لمناقشة الأوضاع في العراق بعد اندلاع الثورة وجاء في التقرير : انه اجتمع المجلس بناء على طلب وفد لولايات المتحدة لمناقشة الموقف ومضاعفاته في العراق. ثم تحدث برغس بلهجة اكثر رسمية عن لبنان اذ استلمت حكومته طلبا من الحكومة اللبنانية لتقديم المساعدة العسكرية لحمايتها من التمرد الذي اندلع بترتيب من الخارج ولم تتمكن الولايات المتحدة الوقوف مكتوفة الايدي تجاه التماس قطر شرق اوسطي صغير وصديق الى الغرب يطلب المساعدة ضد هذا النمط من العدوان وستصل وحدة طوارئ امريكية الى لبنان هذا اليوم غرضها حماية ارواح الامريكيين فقط ولدعم الحكومة الشرعية افتتحت جلسة البرلمان بنقاش مطول حول الموقف في الشرق الاوسط من خلال وصف التطورات في مجلس الامن وجلب برغس امريكا انتباه المجلس الى مسودة قرار الولايات المتحدة واشار الى ان المملكة المتحدة وممثلي كندا والثين في نيويورك قد ايدوا اجراء الولايات المتحدة يقصد به الانزال الامريكي في بيروت بقوة ١٤ الف جندي من مشاة البحرية . وقال شنايل فرنسا بان الممثل الفرنسي في الامم المتحدة أيد كذلك الولايات المتحدة .

واشار بلانكنهورن(المانيا) الى ان الموقف في العراق ما زال غامضا. وقال بلودان(الدنمارك) بان حكومته لم تدرس حتى موضوع الاعتراف بالحكومة المتمردة في بغداد. وأخيرا ظهرت بعض النقاط المتفرقة اذ سال دي ستابروك (بلجيكا) عن صحة الأخبار التي تناقلت موضوع السيطرة على سكرتارية ميثاق بغداد من قبل المتمردين ووضع اليد على كافة وثائق الميثاق .

تركيا وأحداث الثورة

في صباح يوم ١٥ تموز تناقلت الصحف التركية أنباء وأخبار ملفقة وكاذبة حول الثورة لإثارة القلق وعدم الاستقرار والعداء للثورة فبادر القنصل البريطاني في اسطنبول الى ابلاغ حكومته بذلك لاستثمارها في حملتها ضد الثورة .فبادر القنصر البريطاني في اسطنبول الى ابلاغ حكومته بذلك لاستثمارها في حملتها ضد الثورة جاء في البرقية المرقمة ١٣٤ والموجهة الى وزارة الخارجية البريطانية مستعجل من قبل القنصل العام البريطاني : تناقلت هذا الصباح الصحافة اسطنبول بان الفعل المضاد ضد الثورة قد أبدى في عدد أماكن من العراق وان هناك بعض الوحدات في الجيش ترفض اطاعة اوامر الثوار وان المصادمات بدات خارج بغداد بين الوحدات الموالية والثائرة في الجيش وان هناك ٨٠ الف من رجال قبيلة ربيعة بقيادة امير ربيعة تزحف نحو بغداد وانضم اليها بعض وحدات الجيش.

كما تناولت التقارير التي تسربت الى ايران بان بعض العناصر الموالية من الكرد قد رفضت لإطاعة الأوامر الصادرة من الحكومة الثورية في بغداد وان رجال القبائل في كركوك وأربيل يتعاونون مع الوحدات العسكرية الموالية للنظام السابق.

ومن أنقرة أرسل السفير البريطاني السير جي بوكر برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية رقم ١١٢١ موثوق في الساعة الواحدة من صباح ١٧ تموز يقول فيها تم إعداد الملاحظات التالية حول الشخصيات التي يقال بأنها تقود الانتفاضة في العراق من قبل السيد بارسونز مساعد الملحق العسكري البريطاني في بغداد سابقا استنادا إلى مذكراته الخاصة والتي قد تكون ذات فائدة بهذا الصدد حيث كان السيد بارسونز زميلا مقربا منهم منذ سنة ١٩٥٤ .

الفريق نجيب الربيعي: (رئيس مجلس الدولة) انظر الشخصيات العراقية رقم (١٠٩) شخصية انعزالية وغامضة بعض الشيء يقال انه يخفي كرها مريرا وشخصيا للانكليز منذ ان كان في ساند هرست (كلية عسكرية بريطانية).

الزعيم عبد الكريم قاسم: (رئيس الوزراء) كان احد آمري الأفواج العراقيين القلائل الذي كان مهتما بالحرب والإدارة على غرار المتبع في الجيش البريطاني .

العقيد ناجي طالب: (وزير الشؤون الاجتماعية) وهو مثل نجيب الربيعي درس في سانت هرست او في وولج تحمل الكثير من المعاملة الخشنة هناك .

العقيد خالد النقشبندي: الحاكم العسكري في بغداد من عائلة كردية مشهورة لها فروعها في تركيا أيضا لا يعطي الانطباع بان شخصيته مؤثرة بالرغم من انه ضابط ركن كفوء.

الزعيم احمد صالح العبدي: الحاكم العسكري في العراق صديق عزيز علي كان آمر مدرسة يتصف بالسمنة وبحجمه الكبير شفاف وساخر وسهل.

ويختتم التقرير بالقول ان هذه المجموعة من الضباط تشبه ناصر قبل مجيئه إلى السلطة ويعتقدون بإيمان أنهم يقدمون الأحسن لبلدهم.

وفي ٨ اب ١٩٥٨ ارسلت وزارة الخارجية البريطانية برقية الى سفيرها في طهران رقم ١١٤٨ وسفيرها في انقرة تحت رقم ٣٩٩ تحثهما فيها بتشجيع ايران وتركيا في نفس الوقت لاقتسام شمال العراق.

السفير الامريكي يقابل عبد الكريم قاسم

في مساء يوم ١٥ تموز قام السفير الامريكي في بغداد ويلدمور غولمان بمقابلة عبد لكريم قاسم ورافقه في هذه المقابلة العقيد الركن دريد الدملوجي مساعد الملحق العسكري العراقي في واشنطن سابقا بعث السفير البريطاني في واشنطن برقيته المرقمة ١٩١٨ الى وزارة الخارجية البريطانية مشيرا فيها الى هذه المقابلة ويقول كان قاسم يبدو وديا ومتواضعا وكان يريد ان يخلق الانطباع الجيد عن النظام الجديد وقال سفير الولايات المتحدة لقاسم انه جاء لمناقشة بعض القضايا التي تهم المستقبل القريب وقال قاسم موافقا إننا نحن العراقيين نرغب في اقامة علاقات جيدة مع الولايات المتحدة الاميركية . ثم طلب السيد غولمان ضمانات معينة لسلامة حياة وممتلكات الأميركيين واستجاب قاسم لتقديم هذه الضمانات ثم طلب ضمان سلامة خروج الأميركيين اذا ما تقرر جلاؤهم عن العراق فأجاب قاسم أولا إن الضمانات التي قدمها تجعل من غير الضروري الجلاء عن العراق وبعد الإلحاح وافق قاسم على تقديم الضمانات الخاصة بسلامة إخلائهم إذا ما تطلب الأمر.

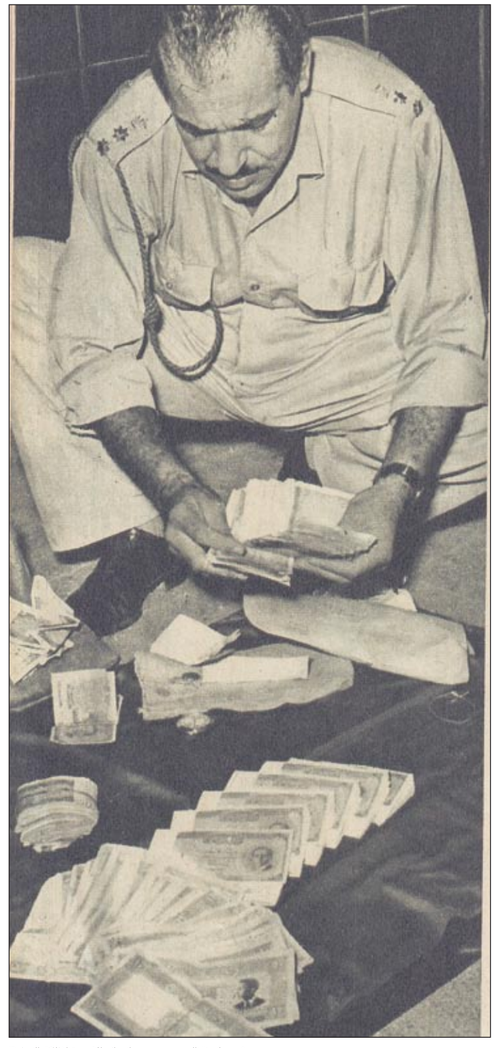
رئيس لجنة الجرد يحصي اموال الاسرة المالكة السابقة

سيارة رقم ١٦٠٠ بغداد التي حاول مرافق عبد الاله تهريب الاسرة المالكة فيها

خروج الجماهير يوم اعلان الثورة

حسين جميل
يروي حكاية الضباط الاحرار وثورة 14 تموز

فريق ركن نجيب الربيعي

زعيم ركن احمد صالح العبدي

العقيد الركن فاضل مهداوي

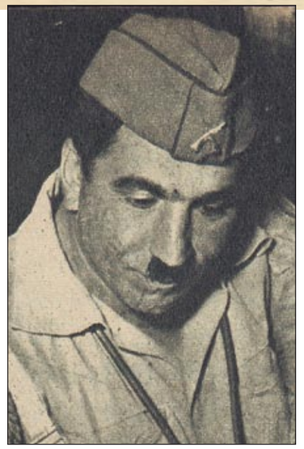

الرئيس الاول بهجت سعيد

ولسنا نريد ان نؤرخ له سيرة وشخصية، لكن الواجب يقضي ان نعرفه للقارىء بالرغم من صعوبة تعريف المعرف. أنهى الاستاذ حسين جميل الدراسة في معهد الحقوق بدمشق في سنة ١٩٣٠، وعمل اكثر من اثنتي عشرة سنة في القضاء، واسهم في تأسيس الحزب الوطني الديمقراطي ثم اصبح سكرتيرا عاما للحزب، انتخب نائبا عن مدينة بغداد ثلاث مرات في العهد الملكي، ثم نقيبا للمحامين لاربع دورات، كما انتخب امينا عاما لاتحاد المحامين العرب من سنة ١٩٥٦ حتى سنة ١٩٥٨ وتولى وزارة العدل عام ١٩٤٩ . اللقاء الذي اجرته الصحفية هناء العمري قبل اكثر من ربع قرن تعيد ذاكرة عراقية نشره . .عمل في صفوف جبهة الاتحاد الوطني ممثلاً للحزب الوطني الديمقراطي، وكان على اطلاع بالامور والاتصالات السرية بين الجبهة وتنظيم الضباط الاحرار التي مهدت لقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

ولذلك قصدناه للمحاورة والمناقشة التي نهدف من ورائها الى تسجيل وتوثيق احداث تلك الحقبة المهمة من تاريخ العراق السياسي المعاصر..

× المعروف انك كنت احد العناصر الوطنية التي اتصلت بها حركة الضباط الاحرار قبل ١٤ تموز فكيف تم الاتصال؟ اشخصياً كان ام لانك حزبي وعضو في جبهة الاتحاد الوطني؟

– اذكر شيئاً عن الشخصين اللذين سيرد اسماهما في حديثنا، وهما عبد الكريم قاسم ورشيد مطلك، انهما وانا من سكان محلة واحدة في بغداد هي محلة قنبر علي. وهما جاران في السكن ومتقاربان في العمر وصديقان. ورشيد مطلك كان صديقي نشأت صداقتنا ونحن طالبان في المدرسة الثانوية في بغداد. ثم عين موظفاً في مديرية الكمرك والمكوس في بغداد، واستمرت صداقتنا لقاءاتنا الى توفاه الله قبل سنوات اما عبد الكريم قاسم فقد كنت اعرفه بالاسم وبالوجه، ولكن لم تكن بيننا علاقة ولم اجتمع به قبل ١٤ تموز سنة ١٩٥٨.

جاءني رشيد مطلك يوماً الى بناية المحاكم المدنية– قرب سوق السراي وقد هجرت الآن– وكان ذلك في اوائل شهر تشرين الاول سنة ١٩٥٦ – لم ادون في مفكرتي في صفحة اليوم الذي كان فيه اللقاء اشارة الى وقوعه لان مكاتبنا وبيوتنا واوراقنا كانت عرضة للتفتيش، وكان يمكن ان اكتب في صفحة المفكرة ليوم اللقاء اية اشارة تدل عليه، ولكني لم افعل في حينه، ولكني متأكد من ان اللقاء كان في الايام الاولى من شهر تشرين الاول سنة ١٩٥٦ فقد كانت عطلة المحاكم الصيفية قد انتهت منذ امد قريب. وكانت قناة السويس قد امممت والازمة التي نشأت عن ذلك في عنفوانها (كان تأميمها كما هو معروف في ٢٦ تموز) ولكن العدوان الثلاثي لم يكن قد وقع (إذ بدأ العدوان في ٢٩ تشرين الاول).

قد تكون هذه الايضاحات زائدة. ولكني اوردها لمن يهمه معرفة تواريخ الاحداث ولو بصورة تقريبية.

جاءني رشيد الى مقر عملي في نقابة المحامين– وكنت يومذاك نقيباً– وقال ان لي معك حديثاً مهماً وسرياً قلت له ان خرج من الغرفة حتى لايقطع الحديث مراجع او زائر، ونمشي في ساحة المحاكم فلا يستمع الى حديثنا احد حتى ولا الى طرف منه.

قال لي ونحن نسير في الساحة، ان الزعيم عبد الكريم قاسم ارسلني اليك وهو يعرفك جيداً ويعرف تاريخك وافكارك وآراءك في الشؤون العامة منذ تأسيس جريدة الاهالي، ثم الحزب الوطني الديمقراطي، وفي معركة الانتخابات النيابية واجتماعاتها، وفي مجلس النواب، وفي نقابة المحامين، ويقول لك انه يرأس تنظيماً من الضباط الاحرار يهدف الى اسقاط النظام الملكي واقامة الجمهورية، والقضاء على الاوضاع السيئة التي يشكو منها الشعب ليقام بدلها ما يحقق امانيه وسيكون من اجراءات التنفيذ وفي بدايته الاطاحة بالملك والامير عبد الاله ولي العهد ونوري السعيد. وهو يريدك ان تتعاون مع هذا التنظيم وقال لي رشيد مطلك ان الزعيم عبد الكريم يقول ان مايهمه ويعنيه في النظام الجديد هو الجيش وتقويته وتوسيعه وتسليحه وتدريبه. لذلك فانه سوف يتولى اموره. اما الحكم فهو يفكر في ان تكون انت رئيساً للوزارة التي تشكل بنجاح الثورة.

قلت له قد تستغرب ان اقول لك رأيي في موضوع مهم مثل هذا الان بدلا من ان اقول اني سأفكر فيه واعلمك ولكننا كحزب ننظر في مسيرة الاحداث، واحتمالات ماقد يقع منها وموقفنا في هذه الحالة او تلك سبق وان بحثنا الموقف الذي نتخذه من «انقلاب عسكري» اذا ما وقع ورأينا هو ان لا نؤيده ولا نؤيد الحكم الذي ينبثق عنه.

ذلك لان رأينا هو ان «الانقلاب» يذهب باوضاع هي ضد الحريات والحكم الديمقراطي الذي نؤمن به ونعتبره المفتاح لكل اصلاح. يذهب الانقلاب باوضاع يمكن بالضغط الشعبي والعمل السياسي المستمر ان نطورها الى الاحسن ويأتي بحكم عسكري من الصعب جدا على القوى الشعبية ان تجد مجالات العمل السياسي في ظله وتصحيحه، ولجماعة الاهالي تجربة مرة في هذا الشأن هي تجربتهم في انقلاب بكر صدقي واذا كان هناك تنظيم للضباط الاحرار يهدف الى تغيير النظام فهذا مفيد جدا للحركة الشعبية بحيث لايكون الجيش اداة لقمع الحركة الشعبية الامر الذي يساعد على نجاحها، اما القول بايداع الحكم الى مدني فليس هناك من عسكري يقوم باسقاط نظام حكم ويترك الحكم الجديد الى مدني، واذا فعل ذلك سيكون في الشكل والظاهر ليبقى هو، او مجموعة القائمين بالحركة الحاكمين الحقيقيين وراء ستار وانا لا استطيع القيام بهذا الدور لذلك ارجو ان تبلغ الزعيم عبد الكريم قاسم شكري على ثقته بي بحيث فاتحني بهذا الامر الخطير، وارجو ان تبلغه ايضا اني ارجو ان لايندم على هذه المفاتحة، وليثق بان موقفي وتصرفاتي ستكون لو كنت لم اسمع بهذا الموضوع اطلاقاً ولا اعرف أي شيء عنه وقلت لرشيد مطلك بانه جرى العمل بيننا –كامل الجادرجي ومحمد حديد وانا– ان ما يعرفه واحد منا او يسمع به مما يتعلق بالسياسة العراقية والاحداث الجارية في العراق او المنطقة يخبر به الاخرين فارجو ان تسأل الزعيم عبد الكريم عما اذا كان يوافق على ان اخبر كامل الجادرجي بحديثنا هذا، وبعد ايام قليلة جاءني رشيد وقال لي بان الزعيم يقول اخبر كامل الجادرجي بالموضوع فاخبرته به وايد الموقف الذي اتخذته، واخبر به محمد حديد وبدأ اتصال رشيد مطلك بهما مباشرة.

× كأني افهم منك ان ما وقع هو اتصال شخصي فهل كنت تخبر الحزب. وتتخذ قراراته في هذا الموضوع الخطير؟

– لم ينقطع اتصال رشيد مطلك بي ولا اتصالي به في ما يتعلق بهذا الموضوع ايضا، وكنت اسأله عند اللقاء عما تم في مسيرة الموضوع الذي حدثني عنه، فكان يعلمني ببعض الاخبار. او يسألني سؤالاً او اكثر في امر من الامور العامة، وقد يسألني عما اذا كان موقفنا سلبياً من موضوع المشاركة بالحركة عندما فوتحنا بها، فكيف تم اشتراك الحزب بوزيرين في الوزارة الاولى التي اعلن عن تشكيلها في صباح يوم الثورة ١٤ تموز؟ والاجابة على هذا السؤال يتطلب ان اتكلم قليلاً عن «جبهة الاتحاد الوطني» واتصال تنظيم الضباط الاحرار بها.

وسوف اجيب على هذا السؤال بعد الفراغ من الموضوع الذي نتحدث فيه الان.

×كلفت بالاتصال بالرئيس جمال عبد الناصر في حين تبين ان الهيئة العليا للضباط الاحرار كلفت الاستاذ صديق شنشل بهذا الاتصال. كيف جرى ذلك؟ ولماذا وهل علم حزبكم بذلك التكليف؟

– في صيف ١٩٥٥ اشتركت في مؤتمر الخريجين العرب– الذي انعقد في القدس وفي نهاية الاجتماعات انتخب المؤتمر مكتباً دائماً له اختير اعضاؤه من اقطار عربية متعددة وكنت من جملة من انتخب من العراق والممثلان الاخران له هما الاستاذ فائق السامرائي والاستاذ صديق شنشل.

وانتخب المكتب الدائم رئيساً له هو الاستاذ محمد فؤاد جلال– وهو وزير مصري سابق معني بالشؤون العربية– وكان المكتب الدائم يعقد اجتماعاته من هذه الدول تهمها المحافظة على مصالحها لذلك فانها ستهادن النظام وتعمل على احتوائه.

كان هذا هو السؤال الوحيد الذي طلب مني توجيهه، وبعد ان حضرت الاحتفال السنوي بثورة ٢٣ يوليو في ميدان عابدين عدت الى بغداد يوم ٧/٢٥ وبلغت رشيد مطلك بجواب الرئيس عبد الناصر وهو ابلغه الى عبد الكريم.

نأتي الان الى سؤالك وهو «ان الهيئة العليا للضباط الاحرار كلفت الاستاذ صديق شنشل بهذا الاتصال، فلماذا كان الاتصال بي.

لم يبحث في اجتماعات «جبهة الاتحاد الوطني» لا في «لجنتها العليا» ولا في «لجنة التنظيم المركزي» أي امر يتصل بتنظيم الضباط الاحرار ولم يذكر هذا التنظيم على لسان احد ولم يقل احد في الجبهة بوجوده حتى ولا وجود اية حركة او تذمر في الجيش، اعرف هذا بالنسبة للجنة التنظيم المركزية لاني كنت ممثل «الحزب الوطني الديمقراطي» فيها، واعرفه بالنسبة للجنة العليا عن طريق الاستاذ محمد حديد ممثل الحزب في هذه اللجنة، حتى كان اتصال تنظيم الضباط الاحرار بجبهة الاتحاد في مطلع عام ١٩٥٨ على الوجه الذي سأرويه، لذلك فانه اذا كان تنظيم الضباط الاحرار قد اتصل بالاستاذ صديق شنشل لامر ما، فانه لم يتحدث عن ذلك في الجبهة.

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان اتصال عبد الكريم قاسم بي عن طريق رشيد مطلك للقيام بمهمة معينة –هي التي رويتها في ما تقدم– كان في تموز سنة ١٩٥٧ واتصاله بالاستاذ محمد البكري. ودام اللقاء ساعتين اخبرته بما طلب مني عبد الكريم قاسم القيام به وكان جواب الرئيس جمال على السؤال انه يتقديره اذا نجحت الثورة واستولت على السلطة فلن يقع تدخل أجنبي ضد الحكم الجديد الذي تقيمه وخلاصه تفسيره لرأيه هو ان انكلترا او الولايات المتحدة الأمريكية لهما مصالح كبيرة في العراق: النفط واستخدام القواعد العسكرية والموانىء وطرق المواصلات والاستفادة من موقعه الجغرافي بجوار اقطار الخليج ونفط عبادان وغير ذلك من المصالح.

الرئيس منذر سليم

الرئيس مهدي الصالحي

جمال عبد الناصر وتوجيه سؤال اليه على الوجه الذي تحدثت به الان، فقال من الغريب ان عبد الكريم قاسم لم يكن مكلفا باجراء هذا الاتصال وان اللجنة العليا كلفت صديق شنشل لمقابلة عبد الناصر وتعلمين ان رجب عبد المجيد كان سكرتير اللجنة العليا لتنظيم الضباط الاحرار قلت له بماذا نفسر اتصال عبد الكريم قاسم بي دون تكليف من اللجنة العليا فاجاب بماذا تفسر انت هذا الموضوع؟ قلت له ان عبد الكريم قاسم «شكوك» وربما اراد ان يتأكد من الجواب

الذي يحمل صديق شنشل سبب اخر هو انه اراد ان يبلغ عبد الناصر انه هو رئيس تنظيم الضباط الاحرار قال لإستاذ رجب اعتقد ان اتصاله للتسبيق معا. وبعد ذلك خطر في فكري سبب ثالث لم اذكره في حينه هو ان عبد الكريم قاسم اراد ان يظهر امام عبد الناصر بانه مؤيد من احزاب سياسية وانها تعمل معه، وفي الوقت الذي جرى فيه الحديث مع الاستاذ رجب، لم اكن اعلم ان مقابلة صديق شنشل كانت في شباط ١٩٥٨.

بعد تكليفي بالمقابلة بنحو ستة اشهر، وبعد مقابلة الاستاذ محمد حديد باربعة اشهر، فهل كانت اللجنة العليا لتنظيم الضباط الاحرار قد قررت الاتصال بصديق شنشل في تموز ١٩٥٧ او ايلول ١٩٥٧ عندما اجرى عبد الكريم قاسم الاتصال بي وبالاستاذ محمد حديد؟

× جاء في الكتاب الذي نشره رفعة الجادرجي عن والده المرحوم كامل الجادرجي بعنوان «صورة اب» «حدثني الوالد بعد الثورة باسابيع عما كان يدور قبلها من مباحثات واتصالات». وبعد ان يذكر بعض مواضيع تلك المباحثات كتب «وقد بحث في تلك الاجتماعات كذلك موضوع قتل العائلة المالكة كما حدثني والدي، وقد قال لي تصويتا قد جرى على هذا الامر ايضاً، فجرت الموافقة عليه فيما عدا حسين جميل الذي لم يكن مؤيداً لمبدأ القتل، فما هو رأيك في هذا الموضوع؟

– الحقيقة هي ان قتل العائلة المالكة لم يكن موضوع بحث اطلاقاً قبل ١٤ تموز ١٩٥٨ وقتل العائلة في الساعات الاولى من صباح يوم ١٤ تموز تم بتصرف آني من قبل احد الضباط الذين ذكر بعض شهود العيان اسمه وقالوا انه عبد الستار سبع العبوسي، ولكن قتل الملك هو الذي كان موضوع بحث وموضوع خلاف، وقد اختلط في ذاكرة الاستاذ رفعة الجادرجي الامران (قتل الملك وقتل العائلة المالكة) وقد كان رأيي الذي ابديته في حينه عدم قتل الملك واتباع ما قامت به ثورة ٢٣ يوليو في مصر بالابقاء على الملك واستحصال ارادة ملكية منه بالوزارة التي تشكلها الثورة، وحل مجلس النواب وانتخاب مجلس جديد كل اعضائه من مؤيدي الثورة وفي اول اجتماع له يقرر اسقاط الملكية واعلان الجمهورية، وبنيت رأيي على اساس ان هذا الاجراء يجنب الثورة احتمالات التدخل من دولة اجنبية لقمعها –وقد كنت اخشى وقوع هذا التدخل– كما لاتبقى من حاجة– مع الاجراء الذي فضلته– للحصول على اعتراف الدول بالتنفيذ الذي تم.

× ما كان مدى الاتصال بين جبهة الاتحاد الوطني وتنظيم الضباط الاحرار؟

– في نطاق ومدى عمل اللجنة التي كنت امثل «الحزب الوطني الديمقراطي» فيها، وهي «لجنة التنظيم المركزي» لم يكن هناك أي اتصال ما، ولكن اتصالاً من تنظيم الضباط الاحرار تم مع اعلى المستويات من قادة الاحزاب الممثلة في الجبهة في سنة ١٩٥٨ كشف ذلك الاستاذ محمد حديد ممثل «الحزب الوطني الديمقراطي» في اللجنة العليا في حديث اجرته معه مجلة الثقافة الجديدة» (عدد تموز ٩٦٩) حيث قال:

لم يكن الاتصال بين الجبهة ومنظمة الضباط في اول الامر على نطاق الجبهة، وانما كان بوساطة الاحزاب المتصلة بكلا التنظيمين.. وفي مطلع عام ١٩٥٨ فوتحت الجبهة الوطنية للمشاركة بالحكم فيما اذا نجحت الثورة التي كان يخطط لها من قبل الضباط. ونوقش هذا الموضوع في اجتماع ضيق ومحادثات على اعلى المستويات بين قادة الإحزاب الممثلة في الجبهة وتقرر مبدئيا دعم الثورة واستعداد الجبهة للمشاركة فيها على اساس تنفيذ منهاجها. دون التطرق الى موضوع الاشخاص الذين اختيروا عند قيام الثورة من قبل الجهات العسكرية. (انتهى الاقتباس)

والفقرة الاخيرة تجيب على السؤال الذي افترضت انه لابد من ان يوجه وهو انه اذا كان موقف من فوتح ابتداءً من اعضاء الحزب الوطني الديمقراطي سلبياً – كما بينت في اول هذا الحديث– فكيف اشترك اثنان من قادة الحزب في الوزارة التي اعلن عن تشكيلها في صباح يوم ١٤ تموز ١٩٥٨؟

× ما منهاج الجبهة الذي جاء في المقتبس المتقدم ان استعداد الجبهة للمشارة اليها في الثورة والحكم الذي ينبثق عنها يكون على اساسه؟

– المنهاج الذي قامت جبهة الاتحاد الوطني على اساسه نشر على الجمهور في كراس صغير في ٩ اذار (مارس) سنة ١٩٥٧ والكراس في اثنتي عشرة صفحة يعلن قيام الجبهة، وهو بتوقيع «اللجنة الوطنية العليا» وفيه اهداف الجبهة بعنوان «المطالب الوطنية الكبرى» وهي:

١– تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي.

٢– الخروج من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع سياسة البلاد العربية المتحررة.

٣– مقاومة التدخل الاستعماري بشتى اشكاله ومصادره وانتهاج سياسة عربية مستقلة اساسها الحياد الايجابي.

٤– اطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية.

٥– الغاء الادارة العرفية واطلاق سراح السجناء والمعتقلين الموقوفين السياسيين، واعادة المدرسين والموظفين والمستخدمين والطلاب المفصولين لاسباب سياسية.

وتضمن الكراس مقدمة عن الوضع الدولي العام والاوضاع الداخلية التي استوجبت قيام «جبهة الاتحاد الوطني» وتحليل لكل مطلب من المطالب الخمسة للجبهة وكون هذه الاهداف تعتبر في هذه المرحلة نقطة ابتداء لتحقيق الحرية والاستقلال للشعب العراقي، والسير به في موكب الامة العربية التحرري.

مجلة آفاق عربية 1986
حوار اجرته هناء العمري مع الراحل
حسين جميل

كيف جرى التحقيق مع رجال العهد الملكي

يحيى الدراجي يتذكر

يحيى الدراجي

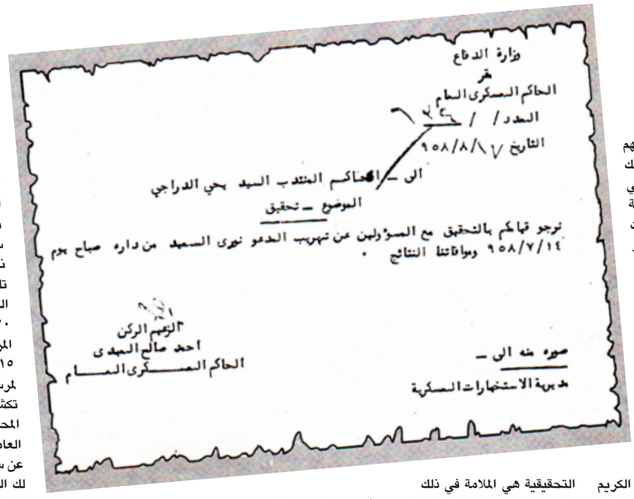
وزارة الدفاع
الحاكم العسكري العام
العدد / /
التاريخ ١٩٥٨/٨/١٧
الى / الحاكم المنتدب السيد يحي الدراجي
الموضوع / تحقيق
نرجو قيامكم بالتحقيق مع المسؤولين عن تهريب الدعو نوري السعيد من داره صباح يوم ١٤/٧/١٩٥٨ ومواقاتنا النتائج .
العميد الركن
احمد صالح العبدي
الحاكم العسكري العام
صورة منه الى -
مديرية الاستخبارات العسكرية

الاحزاب الوطنية ورجالها.. كانت لهم صحافة، والصحافة العراقية في تلك الفترة تناولت موضوعات غاية في الاهمية. لماذا لم تلتفت الهيأة التحقيقية وتستفيد منها في توسيع مدارات التحقيق بما يكشف اسرار الاستعمار ورموزه في العراق؟

– اصدقك القول ان الهيأة التحقيقية الخاصة هي هيأة تحقيق وليست راسمة للسياسة ومحددة لمسار الحكم. لقد كانت مهمتها ان تنظر بتركيز وعمق في التهم المحالة اليها وتسعى جاهدة لاكتشاف الحقيقة، ولا تاتي هذه الحقيقة الا في ضوء الوثائق التي تقدم ضد المتهم او ان يؤخذ المتهم باقراره (ولم يحدث مثل هذا الامر الاخير لاي من المتهمين)، ثم تحيل الهيأة ما تصل اليه الى عبد الكريم قاسم، رئيس الوزراء، فهو الذي يحيل الامر الى "محكمة الشعب" او لا يحيله.

وقد حدث مثل هذا الامر فعلا في تحقيق اجري مع معاون مدير الاستخبارات العسكرية في العهد الملكي، الزعيم امين بكر الدوري، وكان مدير الزعيم احمد مرعي، وقد احاله كريم قاسم الى هيئتنا موقوفا طبعا للتحقيق معه، فحققنا معه في ضوء معلومات مبتسرة زودنا بها وهي انه كان يتصل بالعشائر على الحدود السورية – العراقية وينقل السلاح. ثم ظهر في التحقيق انه كان يرسل بواجب من مديره احمد مرعي لاستطلاع منطقة الحدود العراقية – السورية ولتهيئة مقر القوات العراقية التي ترابط هناك ، وكان يستأجر سيارات مدنية للوصول او لنقل المواد.

فكتبت الهيأة مطالعة لكريم قاسم تبين فيها ان عمله لم يكن الا تنفيذا للاوامر الصادرة اليه ولا علاقة له بالمخططات التآمرية الكبرى على سورية، واوصينا بالافراج عنه. وكان يحمل المطالعات لكريم قاسم العقيد محمود عبد الرزاق رئيس الهيأة باليد ويتصل به اكثر من مرة في اليوم.

ولكن الاضبارة عادت تحمل توقيع عبد الكريم قاسم الذي رفض مقترحنا بلهجة شديدة وامر بوجوب التعميق في التحقيق. وفعلا حاولنا التعمق في التحقيق ولكن كيف؟ لم نمسك باي دليل جديد فيما بدا لدينا.

وابلغت رفعت بما حدث فقال: اعمل ما يمليه عليك الضمير والعدل والقانون، ولكن رئيس الهيأة اصر على الاحالة استجابة لرغبة عبد الكريم قاسم، فقلت له: يبدو ان لعبد الكريم قاسم معلومات رسمية خاصة حول الموضوع فلا مانع قانونيا من استخدامه شاهدا في التحقيق ليدلي بشهادته، او انتداب احدنا لضبط شهادته في مقره او الطلب منه بان يكتب للهيأة بما عنده. فاستاء محمود وكتب قرار الاحالة واحيل المتهم الدوري الى محكمة المهداوي من قبل قاسم، ولم نعرف الاسباب القانونية، وحكم عليه كما اظن.

هذه الصورة توضع ما قدمته، فليست الهيأة التحقيقية هي الملامة في ذلك

ولكن عموض اتجاه الحكم هو المسؤول، ثم ان الصحافة الوطنية انذاك انجرت هي الاخرى الى الصراع الداخلي على السلطة..

لقد كانت الصحافة هي الاخرى مصابة بذات الداء الذي انتشر في فكر الثوار ومواقفهم الانقسامية والتكتلية ، ولتشعب الرأي بين اتجاهين متضادين، كما تعرفين. انا لست في حديثي هذا معك مؤرخا بالمعنى الدقيق لكلمة مؤرخ، ولعل افضل ما اصف به نفسي هو اني شاهد على الاحداث، يعتمد على ما بقي طافيا على سطح الذاكرة ويستعين ببعض ماليديه من الاوراق والقصاصات التي كان يجمعها كلما وقعت بيده .

× من غير المعروف للرأي العام ايضا ان تشكيلة "محكمة الشعب" والادعاء العام (المحكمة العسكرية العليا الخاصة) المشكلة بموجب المادة الثانية عشرة من القانون رقم (٧) لسنة ١٩٥٨، بشان معاقبة المتآمرين على سلامة الوطن ومفسدي نظام الحكم. وقد تشكلت تلك المحكمة بموجب المرسوم الجمهوري المرقم ١٨ المؤرخ في ١٩٥٨/٧/٢٠ المعدل بموجب المرسوم المرقم ١٦٤ المؤرخ في ١٩٥٨/٨/١٥. وقد جرى التعديل لمرسوم تشكيل المحكمة ولم تكشف المحاضر الرسمية لجلسات المحكمة المنشورة من القيادة العامة للقوات المسلحة سنة ١٩٥٨ عن سبب التعديل، اما انا فقد ذكرت لك الحقيقة وهي ان تغييرا حصل في تشكيل المحكمة، اذ كانت بموجب المرسوم الاول المذكور برئاسة العقيد المهداوي وعضوية العقيد ماجد محمد امين والمقدم عبد الهادي الراوي والمقدم فتاح الشالي والرئيس الاول ابراهيم عباس اللامي. اما المرسوم الثاني فقد عين العقيد ماجد محمد امين رئيسا لهيئة الادعاء العام ونقل المقدم شاكر محمود السلام الى عضو في المحكمة للاسباب التي سبق ان ذكرتها.

وكانت المحكمات تجري بعد الجلسة الاولى ورئيس الادعاء العام ماجد امين عضو المحكمة الذي لم يصدر قرار تعيينه مدعيا عاما الا بعد (٢٦) يوما.

وكانت هيأة الادعاء العام الاولى مؤلفة من المقدم شاكر حمود السلام والحاكم (القاضي) عبد الجليل حبيب ونائب المدعي العام مصطفى الدوري.

اما الهيأة التحقيقية الخاصة فقد شكلت اولا بتاريخ ٢٩ تموز ١٩٥٨ برئاسة العقيد محمود عبد الرزاق والحاكم حافظ خالد والحاكم يحيى الدراجي، والمقدم داود سلمان الغلاي والمقدم الحقوقي عبد الوهاب المدرس. ثم حصل ما حصل مما ذكرته انفا ودخل الحاكم السوري بهجت المسوتي عضوا استشاريا في يوم ٢٩ تموز ١٩٥٨، اي بعد قدوم عبد الحميد السراج الى العراق بيوم واحد. وفي ٢٣/ اب/١٩٥٨ شكلت اللجنة بعد اخراجي والحاكم السوري بهجت المسوتي منها، من السادة العقيد محمود عبد الرزاق رئيسا، كما كان والمقدم داود سلمان الغلاي والمقدم الحقوقي عبد الوهاب المدرس والرئيس سعيد مطر والرئيس عبد الحميد الشكري والرئيس المرحوم حازم عبدالفتاح الصباغ والحاكم حافظ خالد والحاكم صادق حيدر والحاكم شامل الشيخلي والحاكم طالب النائب.

وسيطر عبد الكريم قاسم على الهيأة التحقيقية باصداره امرا باسم القائد العام للقوات المسلحة بكتابه المرقم ق. م/ ١٧/٣٩ المؤرخ في ١٩٥٨/٨/١٧ اي بعد اكثر من شهر من قيام الثورة وبعد ان لاحظ بان التحقيق كما ذكرت اتجه نحو (لماذا تأمرت على سورية) وكما فصلته سابقا واذكر ان عبد الكريم قاسم زارنا في غرفة مدير الاستخبارات المرحوم الشهيد رفعت الحاج سري واعترض قائلا: لماذا يجري التحقيق حول سورية ومن أمر بذلك؟

× الثابت ان ١٤ تموز ١٩٥٨ محاولة ناجحة من بين محاولات عديدة قام بها الضباط الاحرار لتغيير نظام الحكم الملكي ولم يكتب لها النجاح. لكن بالمقابل اتصح ان هناك محاولة او محاولات اخرى من غير الضباط الاحرار كان تقصد التغيير ايضا.

فهل كشف لكم التحقيق شيئا من ذلك؟

– بما ان الهيأة التحقيقية الخاصة كانت قد شكلت للتحقيق مع رؤوس العهد الملكي فانها لم تتلق – على حد علمي – اي ايضاح للمحاولات التي قام بها الضباط الاحرار لقلب نظام الحكم وفشلت. وانا اعرف كغيري من الناس ما وقع، وهو نجاح الثورة على يد الضباط الاحرار صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨. وقد كشفت الكتابات التي نشرها بعض من كتب من الضباط الاحرار ان هناك محاولات كثيرة لم يكتب لها النجاح وبينت اسباب ذلك.

اما بخصوص الشق الثاني من السؤال فاستطيع الاجابة عليه بحكم كوني عضوا من الهيأة التحقيقية الخاصة سنة ١٩٥٨. اذكر انه في التحقيق مع المتهم غازي الداغستاني، قائد الفرقة الثالثة قبل ثورة تموز ١٩٥٨ ومعاون رئيس اركان الجيش "الحركات" بين سنتي ١٩٥٦ –١٩٥٧، ضبط معه في موقفة بسجن معسكر الرشيد وفي حقيبته، بعد ثلاثة ايام من ثورة تموز، دفتر مكتوب بخطه فيه خطة تخص انقلابا في العراق. وقد شكت الهيأة التحقيقية في ان ذلك الدفتر الذي وجد في حقيبة الموقوف في سجنه ومعه اعد بين ١٤ تموز و١٧ تموز ١٩٥٨، واتجه التصور الى انه لابد ان يكون قد اعد لاحداث تغيير على التغيير، لصالح الجهات التي تستفيد منه وهي الجهات الاستعمارية المضادة للثورة وللجمهورية. لقد انكر الداغستاني انه كتب الدفتر بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وزعم انه قد كتبه قبل سنة ونصف تعليقا على خطة سلمها له نوري السعيد او عرضها عليه لاجراء تغيير فيسورية، وفسر كتابة الدفتر بانها شيء خاص به، وانها كتبت تعليقا على خطة نوري السعيد التي ترمي الى ضم سورية للعراق. وتقول بعض الشهادات المدونة في الاضبارة التحقيقية والتي اخذت بها المحكمة في ادانته، ان الداغستاني كان مستاء من وضع عبد الاله ونوري السعيد لانهما يريد ان حشر الجيش في امور لادخل له فيها. واذكر ان الداغستاني في دفتره المذكور وضع خطة متكاملة تخص العراق لاسورية، وسمى تلك الخطة بـ "حركة مفوار" وحدد الامور المتوقعة لانجاحها.

ومنها انشغال الحكومة القائمة في العراق بعد نجاح العهد الملكي في الاتحاد مع سورية وحل احزابها بحيث تكون سيطرة حكومة العراق قد ضعفت لانشغالها بامور سورية.

وكان يؤمل حدوث انتفاضة شعبية في العراق نتيجة للاوضاع السائدة فيه بتاثير الدعاية المصرية المركزة، وعندئذ يستفيد الجيش العراقي من فرصة الانتفاضة ويقوم برفض اطلاق النار وقمع التظاهرات الذي تأمر به الحكومة وتقوم القطعات المكلفة بحراسة رجال الدولة بحجزهم في مكان امين لمنعهم من مغادرة العراق وتأليف حكومة جديدة يدخل فيها الجيش ويشغل وزارات مهمة. وفي حالة فشل "خطة مغوار" ولتأمين تغيير الوضع في العراق بنجاح، فمن المتوقع حدوث انفجار شعبي في وجه العهد القائم وليس ذلك ببعيد – كما يقول الداغستاني في دفتره – وانه في حالة نجاح خطة "دفتر الداغستاني" يعزل "ع" ويقصد به عبد الاله و"ن" ويقصد به نوري السعيد ويحجزان في منعزل يستحيل عليهما منه اشعال فتنة.

ويتم التصلب تجاه بريطانيا وامريكا لحمل امريكا على زيادة مساعداتها العسكرية والمالية. ثم تاتي بقية الخطة التي فيها باب حركة جمع الشمل (أ) وحركة جمع الشمل (ب). ويقول الداغستاني في دفتره "يتوقع ان تستغرق التحضيرات لتنفيذ هذه الخطة سنتين". وقد ناقشت محكمة المهداوي الداغستاني حول هذا الموضوع المهم الا انها لم تمض الى نهاية الشوط في التحقيق بهذا الامر، وهكذا طمست هذه الخطة التآمرية على العراق من قائد عسكري عراقي في العهد الملكي قبل ثورة تموز ١٩٥٨، مما يوفر الجواب على سؤالك بان التغيير كان ضروريا لكنه تحقق على يد ثوار ١٤ تموز ١٩٥٨.

× اذن.. فالتغيير كان مقررا لصالح الاستعمار وبقاء الملكية وازالة نوري السعيد وعبد الاله (الوصي)؟

–قد يكون استنتاجك هذا صحيحا ومن جانبي اعتقد بصحته بدليل ان اضبارة التحقيق في هرب نوري السعيد قد ثبت فيها انه عندما هرب من داره الى دار الدكتور البصام على ضفاف دجلة في بغداد، ومنها انتقل في صندوق سيارة مرسيدس حمراء تعود الى مرتضى البصام، الى بيت الاستراباذي في الكاظمية، كان يصعد الى السطح ويقول: هل تشاهدون طائرة في الجو؟ فيقال له: لا.. ويصيح "سووها الانكليز"!!

× لنعد اليكم مرة اخرى.. كنتم في الهيأة التحقيقية الخاصة فكيف غاب عنكم ذلك؟

– ما ارانى اقول الا معادا مكرورا، فهيأتنا، رحمها الله وغفر لها من ذنبها ما تقدم وما تأخر، لم تكن مسيسة ولا مبوبة فكريا او عقائديا وانما هي انماط مكدسة فمن عسكري قد يكون ناجحا في عسكريته او قاض قد يكون ناجحا في محكمته وقضائه، ولكنهم – وانا منهم – ندرس ما يقدم لنا ولا نذهب الى اكثر من ذلك. وكنا نفتقد الوجه، ولعل لنا عذرا وانت تلومين.

× اذيع امر انهاء خدمتك من القضاء من اذاعة بغداد بعد قرابة الشهرين – دون مقدمات – في الوقت لم يذع فيه امر تعيينك فما سبب ذلك وماذا كان موقف رفعت الحاج سري (وهو الذي كان وراء تعيينك)؟

– قلت لك سيدتي اني منذ بداية التحاقي بموكب الثوار في العهد الجمهوري كنت اجهل من سعى في ذلك، وبعد ان توضح لي السبب – كما سبق تفصيله لك – اخذت اعمل مع المرحوم رفعت الحاج سري، مدير الاستخبارات العسكرية بوزارة الدفاع.

فمثلا كنت اراقب المطبوعات في الاستخبارات العسكرية، وليس ذلك من واجبي بل بتكليف، وكنت ادرس طلبات العراقيين للسفر الى الخارج وكنت اعين رفعت في امور الاستخبارات واتصل بمعارفي من المثقفين وغيره لمساعدتنا في فهم الامور وتحليلها. وكنت اقوم بالتحقيق ، كما ذكرت لك، في القضايا المهمة، وعملت كعضو في هيأة التحقيق الخاصة فكان اتصالي برفعت لصيقا ومستمرا حتى بان للاخرين من جماعة قاسم خصوصا بان لي اثرا في توجيه التيار التكتلي الذي قاده رفعت بمعرفة الفريق نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة انذاك واشتراكه.

حوار اجرته مجلة آفاق عربية مع الراحل يحيى الدراجي ونشر عام 1986

رئيس المحكمة فاضل المهداوي يستمع لماجد امين اثناء محاكمة بهجت عطية

المدعي العسكري ماجد امين اثناء محاكمة بهجت عطية

في حياة عبد الكريم قاسم

د. عقيل الناصري

محطاتها الأساسية :

– لقد نهل الشاب قاسم ومن ثم الطالب فالمعلم والضابط، وأغترف بحسن سياق ودقة من تلك الثقافات القادمة إلى المجتمع العراقي بعد تأسيس الدولة .. كما اهتَمّ في رصد الظواهر الاجتماعية التي كانت تفرزها المحلة البغدادية في صراعها الحياتي والتقاط ما كان جديراً بالتأثر به، إذ ولد قاسم في المحلة البغدادية و مارس طفولته فيها، وتبلور شبابه هناك حيث التجارب الحياتية الأولى وتجلت شخصيته في هموم محيطها وتعلم الحيطة منه، كما استلهم أحزانها وأفراحها، أحلامها وأساطيرها، وفهم تعدد أعراقها وثقافاتها.. مما ولدت لديه منظومة أفكار وقيم سلوكية ذات منطق بناء انفتاحي وليس انطوائي حسب فكر سلامة موسى، كان منها فكرة التسامح والرأفة، بغض النظر عن انتماءاتهم لأنهم جميعاً [نظراء في الخلق].

لقد عاش صباه وفتوته بشقاء وحرمان ولازمت بينه وحياته الحاجة. لقد منحته هذه الحالة درساً عملياً بليغاً أثرت بإيجابية في تشكيل مضامين سلوكه الاجتماعي ومنطلقه الفكري وتركيبته النفسية فكانت العدالة واجتثاث الفقر عنوانها. لقد [فولذته] المحلة البغدادية ضمن ظروفها الزمكانية وأجواء علاقاتها وصراعاتها، الطبقية والدينية والأثنية والمذهبية، لذا تعمق منطلقه المتمحور في عراقيته وانعكس تراتبية أولوياته السياسية من قبيل: أولوية الانتماء الوطني على الولاءات الدنيا؛ نبذ التعصب؛ اجتثاث مقومات الفقر والاستلاب والتسلط ، حتى تشبع ب «... ميزة المساواة بين جميع قطاعات الشعب مع النتيجة بان الشيعة والمسيحيين واليهود وأفراد الاقليات الدينية المختلفة الأخرى في البلاد كانت تشعر بالارتياح خلال حكمه...»، وعليه يمكن اعتبار بيئته العائلية والمحلة البغدادية المحطة الأولى في صياغة منطلقاته الفكرية بشكلها العام.– أخذ الشاب عبد الكريم قاسم، من خلال المعايشة الاجتماعية وجماعة الصحبة والبيئة المدينية (الحضرية) ويتقصى أثر مجموعة [حسين الرحال]، الذين كان يراهم يجتمعون في مقهى النقيب في محلة قنبر علي بالقرب من محل سكناه في أواخر العشرينيات، وكان صديقه المقرب رشيد مطلك من بين مريدي هذه المجموعة، ومن خلاله تعرف على بعض أعضائها وتلامذتهم الذين في عمره، من سكنة المحلة ذاتها أو كانوا طلاباً في الثانوية المركزية حيث كان يدرسون. وقد تقرب روحياً ونفسياً أكثر فأكثر حتى بدأت تملئ معالم روحه نحو الإصلاح في تلك المرحلة من عمره، وتبلورت نشأته السياسية وفكره الاجتماعي ببعده الإنساني. فكانت هذه محطة قاسم الثانية في منطلقاته الاقتصادية والفكرية.

– أما المحطة الثالثة، الأكثر تأثيراً، حسب قراءتي لسيرته والمشتقة من السابقة، فقد كانت تتمثل بتأثره الروحي والمعنوي، بأحد الرواد الأوائل للفكر المساواتي والتقدمي (الاشتراكي) الذي أصبح بمثابة (معلمه الروحي)، وهو الأديب مصطفى علي (١٩٠٠–١٩٨٠)، الذي كانت تربطه علاقة صداقة قوية جداً بعائلة قاسم.. إذ كان والد عبد الكريم قد عمل في ذات الورشة التي يعمل فيها والد مصطفى، الحاج علي محمد القيسي، إضافة إلى ذلك كانت لمصطفى علي علاقة صداقة حميمة بابن بنت عمة عبد الكريم قاسم، الضابط الطيار محمد علي جواد، أول قائد قوة جوية عراقية والمشارك الرئيسي لبكر صدقي في انقلابه عام ١٩٣٦. إذ بعد عودة أسرة عبد الكريم من الصويرة لبغداد عام ١٩٢٤، كما يقول مصطفى علي: « انتقلت إلى جوارهم في محلة قنبر علي وعبد الكريم صبي في عهد تكوينه النفسي. فكان الفتى يأتي يومياً إلى دارهم ويجلس عند قدمي مصطفى علي الذي يكبره نحواً من ١٤ عاما ليستمع إلى أحاديثه وآرائه. وظل عبد الكريم ملازما لصاحبه معجبا به، آخذا عنه حتى أصبح معلماً ، الكثير مما كان يبشر به مصطفى علي ومجموعته الفكرية ويدعون إليه من قبيل: الفكر المتحرر واستقلال في الرأي والصراحة في القول والجهر بالعقيدة، وما تفقه به من علوم اللغة والأدب والممارسة السياسية النظيفة...الخ.

وقد تطورت هذه العلاقة بأستاذه مع مرور الزمن، وتعمقت أكثر عندما عمل كليهما في مدينة البصرة في مطلع أربعينيات القرن المنصرم كل في مجاله.. إذ كانا يتناقشان بالمستجدات الحياتية على الساحتين الفكرية والسياسية، إذ ولع قاسم بالرصافي وأدبه وهذا بتشجيع من أستاذه، وازدادت الثقة بينهما ضمن ظرفها الحسي حتى بلغت مرحلة كان يستشيره في كثير من الأمور، حتى تم إشراكه في الوزارة الأولى للثورة.

هذه المحطة الفكرية في سياق تحقق صيرورتها في نفسية قاسم، قد أنضجت الجوانب المعرفية لديه واختيار التوجه السياسي وتبني النظرة الاجتماعية للحياة وفلسفة الوجود.. حتى أصبحت تشكل الهاجس الأرأس لعبد الكريم قاسم وسياسته وموقعه الشخصي على رأس السلطة الجديدة، في تركيبتها ومضامينها، وكانت بمثابة الصيرورة الدرامية لفكر قاسم العملي. إذ « أهتم المرحوم عبد الكريم قاسم... بشعارات الحركة الوطنية كما هدتهم إليها ثقافتهم وايديولوجيتهم وأوضاعهم الطبقية وموقعهم في السلطة وكان عملهم في تحقيق هذه الشعارات والمطالب وقيامهم بالنضال في سبيل تنفيذها وأسلوبهم الذي اختاروه ذلك مما ميز الثورة في العراق وصبغها بلونها الخاص...».

– لقد تعمقت هذه النظرة وذلك الأسلوب من خلال مدى تأثره بجماعة الأهالي التي مثلت المحطة الرابعة في منطلقات قاسم الفكرية. إذ تدلل الوقائع التاريخية أن قاسم قد تأثر بدرجة كبيرة بهذه المدرسة الفكرية منذ ظهورها في الثلاثينيات، وبالاطروحات الفلسفية التي كانت تدعو إليها حتى قبل أنه كان يتبرع للحزب الديمقراطي من خلال رشيد مطلك الذي كان عضوا في الحزب في الخمسينيات اشتد نزعة قاسم بالتأثر بالأهالي بعد تكوين الحزب الوطني الديمقراطي عام ١٩٤٦ وكان مواظباً على تتبع أفكار الحزب وتوجهاته العامة والأقرب إليه وإلى عراقيته وإلى أفكاره الطبقية. والموقف من الاستعمار؛ التحرر الاجتماعي ؛ ماهيات العقد الاجتماعي؛ دمقرطة الثقافة؛ الموقف من الطبقات المنتجة للقيم المادية؛ وغيرها من المعالجات الفكرية والسياسية وتجلياتها العملية، ولهذا السبب.. كان قاسم يتصل بالحزب الوطني من خلال (رسول الثورة) رشيد مطلك، ويخبره بموعد الثورة بل يكلف أهم عضوين في قيادة الحزب للاتصال بعبد الناصر والقوى التقدمية في سوريا.. وهذا ما سنتطرق إليه لاحقاً.

كما أن برنامج الثورة كاد يتطابق وما يدعو إليه الحزب، في المجالات الاقتصادية والسياسية، لهذا يعطنني القول أن ثورة ١٤ تموز كانت ثورة البرجوازية الوطنية والحزب الوطني الديمقراطي.– أما المحطة الخامسة في المنطلقات الفكرية لقاسم فقد تمثلت سواءً في تجربته الحياتية الاجتماعية وجماعة الصحبة (المهنيون منهم والمثقفون) أو دراسته النظرية العليا (الأركان) في بغداد، ودورة القادة الأقدمين في لندن وقد تعمقت لديه فهم أواليات مهنته العسكرية.. التي قرنها بالممارسة العملية لتطبيق هذه الأبعاد النظرية.. فكانت ممارساته في الحرب البرزانية الثانية، والفلسطينية الأولى حقل تجريب لهذه المعارف، والتي خرج منها كمُعَلِّمٌ في المؤسسة العسكرية العراقية.

ومن الملاحظ في حياة قاسم العسكرية أنه كان لا يود الخدمة في المدن الكبيرة.. مما اكسبه فهم الحياة في واقعها المادي وصراعها الاجتماعي، كما أن سفراته إلى خارج العراق.. كانت محل دراسة له ولواقع تطور هذه البلدان.. ولمعرفة كيفية حل إشكاليات الخروج من التخلف المزمن والقضاء على الفقر.

وصفي طاهر والمهداوي يناقشان في مبنى وزارة الدفاع في الايام الاولى من ثورة ١٤ تموز

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام
والثقافة والفنون